بسم الله الرحمن الرحيم - وبعد
فإلى حضرة الأستاذ الفاضل والمربي الكريم الحاج:
السيد مالك بن الغزالي بن أحمد الشريف السنوسي
أهدي هذا الكتاب تعبيراً عن فائق تقديري
واحترامي له، وعرفاناً بجميله عليّ، داعياً
الله تعالى أن يحفظه ويكلأه برعايته.

ابنكم وتلميذكم
فوزي شعبان الغرياني
التاجوري

المدينة المنورة، في
يوم الثلاثاء 1420/3/15
الموافق 1999/6/29م

نوافذ

حسن السوسي

الدار العربية للكتاب

رقــم الايداع بدار الكتب الوطنيــة
359 / 1987
الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى

الطبعة الأولى

1987

الاهـــداء

إلى كل من أحب الشعر

فنا وتذوقا ،

وآمن به منهجا ووسيلة

لتهذيب الوجدان وصقل الذوق واذكاء المشاعر.

وإلى كل من قدّره التزاما

بمعاني الخير والحب والوطنية والانسانية ،

وثمّنه عاطفة أبوة

وبنوة وأمومة وصداقة.

وإلى كل من أحب الجمال

صورة ولحنا ونغما وأداء ...

واستهواه جرسا

وحركة وقيمًا.. وسلوكا.

أقدم هذه الورقة

لتضم إلى ديوان العرب.. الشعر.

حسن السوسي

وحـــي

من وحي عينيكِ ، ما يهمي به قلمي ... يا أعذب اللّفظ في سمعي وفي كلمي
إنّي أراك بعين ، لا يراك بها ... غيري ، ولاسمك طعم ، غَيْرُه بفمي
وفي خيالي ، خيال منك ما برحت ... رؤاه تشرق في صحوي ، وفي حُلُمي
فأنت : إنسان عيني ، إن رنا نظري ... وأنت جذوة شوق عربدت بدمي
ومنك ، إن رقّ شعري ، سرّ رقّته ... وأنت إن راق لحني ، مصدر النّغم
فلا عدِمتك سكبَ الغيث في جدبي ... ولا عدمتك دفق النّور في عتمي

* * * *

تصفيق

صفّقتِ لمّا أن سمعت قصيدتي سلِمتْ يداكِ ، وبوركت كفّاكِ
إن أعجبتك ، فأنت من أوحَى بها في بعض ما أوحت به عيناك
لله ملهمة الرّوائع أنت لي أنا ما هتفت بمثلها لولاك
من روحك المِعْطَاء ، سارت نفحة فيها ، وشعشع في الحروف سنَاك
فأتت ، كما شاء الجمال ، رقيقة شملت طباعك ، واحتوت رَيَّاك
أترين أسباب الجمال خفيّة عمّن ترعرع قلبه بحماك ؟
وترينه بالحسن غيرَ مُبَصَّرٍ وهو الذي لم ينتخب إلاّك
قد جاء بالسّحر البديع بيانُه لمّا تمثّل مقلتيك وفاك
فتعجّبي إن كان غيرَ محلّقٍ وهو الذي أملَى عليه هواك
إن كان للشّعراء شيطانٌ لهم يوحي .. فأنت بما وهبت مَلاكي

✲ ✲ ✲ ✲

سنة 1979 م زار الشاعر «دمشق» بعد غياب عشر سنوات طويلة عنها ، وكانت تلك الزيارة في أعقاب إعادة العلاقات الأخوية بين سوريا والعراق بعد انقطاعها زمنا ،فكان لذلك صدى في الأوساط الأدبية بدمشق وبغداد حفزت الشاعر لنظم هذه القصيدة مشاركة في فرحة القطرين بهذا الالتقاء لا سيما وكلاهما عضو في جبهة الصمود .

«دمشق .. بغداد .. الجبهة»

جئنا على رَوْحٍ من الأشواقِ ... يا قبلة الأحباب والعشّاقِ

أمنيّةٌ سمح الزّمان بنيْلِهَا ... والدّهرُ ذو عَنَتٍ وذو إشفاق

عشر من السّنوات بعد فراقنا ... ما كنت أحلم بعدها بتلاق

قد حال ما بيني وبينك ، دونه ... حالان : من وهَن ، ومن إملاق

أنا ما اجتويتك ، إنّما هي حالة ... كالجفن بين الصّحو ، والإطباق

متشوّق أبدا إليكِ ، وأنت في خَلَدي ، وفي عيني ، وفي أعماقي
ونَواكِ كاللّهب المؤجّج في دمي وهواك كالجُمَرات في أعراقي
عشر من السنوات ما قدرت على إلهاء ذاكرتي ، وفكّ وثاقي
عشر من السنوات ما زرعت سوى قلقي ، وما صنعت سوى أَوْهَاقي
عشر وفي صدري أُلْمِلْمُ جذوة من شوقيَ المتأجّج الحرّاق
قد رقّشت رأسي ، وأبلت سَحنتي ومشت بظلمتها على إشراقي
لكنها هيهاتِ تمرق كفها أبدا ، إلى ما جال في الأعماق

* * *

أنا لست وحدي في هواك متيّما مثلي كمثل سواي في الأشواق
الحاملون لواء حبّك ، صُحبتي والسّائرون على هواك ، رِفاقي
لكنّني وحدي ، أكابد ضعف ما يَلْقَوْنَه من لوعة العشّاق
نشر الجمال عليك ثوب رُوَائِه ولديك مدّ الحسن ألف رِواق
شرقيّة ، عربيّة ، أمويّة موصولة الأوشاج .. والأعراق
من ذاق من « بَرَدَاكِ » أو منه استقَى مازال ذا ظمإ لكأس السّاقي
حرّانُ يا بَرَدَى ، وبي ظمأ ، وبي ما شئت من تعب ، ومن إرهاق
فأفِضْ عليّ من النّسائم نفحةً وامنح من الأنفاس والأعباق
جئنا نُريح على ضفافك شجوننا فعلى ضفافك راحة الأفّاق
ونُلَمْلِمُ الأشواق عن أجفاننا ونعُبّ هذا الحسن بالأحداق

* * * *

الشّام : بوح الياسمينة بالشّذى وحفيف غصن ، دائم الإيراق
الشّام : أقلام مجنّحة .. إذا شرعت تهُشّ صحائف الأوراق
الشّام : ملحمة العصور ، فصولها أبَدَ الزّمان طليّةُ الإشراق
الشّام : أيّ قصيدة غزليّة تحلو على الأسماع والأذواق !

* * * *

من أين أبدأ ، لست أعرف منهَجا للقول ، غير الصّمت ، والإطراق
فأمام حسنك ، لاكلام .. وإنّما صمت كصمت الخاشع المِطْراق
وأمام مجدك لا حديث معبّر غير التأمّل فيه ، والإغراق
ما هزّني شوق ، لغير ثلاثة : «النّيل» أو «بَرَدَاكِ» أو «رَقْرَاقِ»[1]
فهنا إذا شرّقتُ ، راحةُ خاطري وهناك إن غربّتُ ، شوطُ عتاقي

* * * *

من أين أبدأ ، كل دَرب زاخر بنفائس التّاريخ .. والأعلاق
للدّين والدّنيا بنيت ، ولم يزل ممّا أفضت على البلاد بَواق
فلأنت ـ بعد الرّاشدين وعهدهم ـ مهوى القلوب ، وقبلة الطّرّاق

* * * *

---

(1) نهر أبي الرّقراق بالمغرب .

المجـــد يُسنـده اليك رواته متواترا ... كالنّور في الآفاق
وبوجهك العربيّ تُشرق غُرّة للعُرب مثل الفجر في الإشراق
وعلى الجبين الطهر أقرأ سورة للفتح ، ما سُطِرت على الأوراق
فتح الممالك ، قد صقلتِ حسامه وعَـقَدْتِ عَقْدَ لوائه الخفّاق
تتضاءل الأمجاد دونك ، كلّما ذكرت .. وتقصر قامة العملاق
فأميّـة الأمجاد ، دون مجالها في الشّوط ، كلٌّ مزاحم سبّاق
من هاهنا ، بدأ المسار مشرّقا ومغـرّبـا ، في مـدّه الدّفّاق

* * * *

يا جبهة الرّفض المنيعة ، ما عَنَتْ إلاّ لـعـزّ الـواحـد الخلاّق

* * * *

شمّاء ، مازالت يثير شموخُها صلفَ الحقود ، وغيرةَ المُرّاق
المرجفـون ، تقاصرت أعناقهم فكـأنّـهـم خلقوا بلا أعناق
منذ التقت «بغدادُ» «جلّقَ» والتقت أيدي الصّمود على أتمّ وفاق
سارت على الدَّرب الخُطَى وثّابة وسعت على هَدْيٍ من الميثاق

جانحا نسر

تهلّل الرّاويان : الطّرس والقلمُ
وأومضتَ في سماء العرب واعدة
الوِحدة الوَجد ، في أفواهنا : نغم
فمنذ عهد صلاح الدّين ، ما فتئت
أمانيا كنّ من أكبادنا مِزَقًا
قد زهّر الفلّ ، في شباك دَارَتِنَا
و « قاسيون » مشَى ، واهتزّ من طرب
هذا ، وذلك .. قد جاشت شؤونهما
و « مَيْسَلون » ، لها « جليانة » بسطت
صنوان ، قد قاسما الأعباء بينهما
وحّرتان ، همى ثدياهما شمما

واهـتزّ «مروان» في مثواه ، و «الحكَمُ»
فاستشرقت مهجة حَرّى لها ، وفم
والوحدة الوعد ، في أجفاننا : حلم
رُؤًى ، على صفحات الجفن ترتسم
بانت .. وها هي منذ اليوم تلتحم
ونوّر الشيّح في الآكام ، والبُطُم
يصافح « الأخضر» الزّاهي ، ويلتزم
ففي عروقهما يهفو دم ، ودم
يدا ، تحطّم فيها الصارم الخَذِم
والآن ، بينهما الأمجاد تقتسم
من غير ثدييهما ، لم يرضع الشّمم

* * * *

«دمشق» .. يا فجر أيام محجّلة كنّا بها نسرج الدّنيا، ونلتجم

أيا سماء: نجوم العزّ مطلعها منها .. ومن أفقها تسّاقط الرُّجُم

منك انتشرنا ضياء لا حدود له، تَنْدَاحُ ـ تحت سناه المُشرقِ ـ الظُّلَم

«أمية»، وجنود النّصر ضاربة الله أكبر تحدوها، فتقتحم

على مشارف «قسطنطينةٍ» عَلَمٌ يهفو .. وفوق ذُرَى «قَشْتَالَةٍ» عَلَم

هناك قبر «أبي أيّوب»، مُؤْتَلِق وها هنا «الدّاخل» الميمون مبتسم

أيّام لا حكم إلاّ للكتاب، فما غير الذي بكتاب الله يلتزم

* * * *

صوارم العرب في أغمادها، صَدِئَتْ وخيلها، كاد أن يغتالها البَشَم

مِنْ منذ «حِطّينَ»، لم تبرح صوافنها مُشَكّلاَت .. فلا سرج، ولا لُجُم

ولا استحمّت نجيعا، من فوارسها ولا استدار على أعرافها القَتَم

ولا ثناها نِزَارِيٌّ، تتيه به، في عينه يتساوي البُعدُ والأَمَم

بنات «بلقاء» .. سقّتها مراضعُها ألْبَاءَهَا .. فجرى في عودها الكَرَم

لو فارس كصلاح الدّين، أرسلها ما قصّرت عن مدًى ترتاده الهمم

لكنّها حُجزت، مشكولةً: يدُها ورأسُها، والمدى، والسّوط، والقَدَم

حتّى جلاها لمجراها، وقرّبها مرابطان .. هما في جفنها الحلم

* * * *

ويا «فلسطين» .. يا جرحا نكابده ويا هوًى في صدور العُرْب يحتدم

قد آن للفجر أن تبدو بشائره ... وآن أن تتلاشَى هذه النّظم

في عالم : نصفه سِيدَانُ ضَارِيَةٌ ... ونصفه : إمَّعَاتٌ ، مِثْلُهَا الغَنَم

تجاهل الحقَّ ، واستَشْرَتْ مطامعُه ... واستُهجِنتْ عنده الأخلاقُ ، والقِيَم

فما لغير الهوى تصغي مسامعه ... وما بغير اللّظَى السعَّارِ ، ينشكم

إن لم نكن أمة غَضْبَى موحّدة ... منها : إرادتها ، واللاء ، والنّعم

إن لم نكن أمّة : تأبَى حميّتُها ... أن تُستباح على أعتابها الحُرَم

فما الشّعارات في السّاحات نرفعها ؟ ... وما الأناشيد نزجيهنّ ، والنّغم ؟

وما النّسور التي في الأفق سابحة ... بها الفضاء العريض الرحب يزدحم ؟

وما السّيادة ؟ .. غنّينا ، ملاحمها ... فما تحرّك من أعلامهم علم

إنّ السّيادة إيثار ، وتضحية ... وغاية السّيف ، ينبو دونها الجَلَم

* * * *

استشرف «الأمويّ» الرّحب مغتبطا ، ... وطاول النّجمَ حتّى دونه السُّدُم

واهتزّ من زهوه : صحنا ، ومئذنة ... وراح «للمقدسيّ» الطُّهر ، يبتسم

كأنّه قائل : قد حان موعدنا ... إلى لقاء به الإسلام يلتئم

«فرّق ، تسد» ، تلك قد كانت سياستهم ... فينا .. وكنّا ، على الأهواء نقسم

* * * *

ويا «طَرَابُلْسُ» ، يا صوتًا، إذا هتفت   أعماقه اهتزّ من في أذنه صمم

لقد نهجت لهم نهجا ، مقاصده   محمودة ، ومداه العزّ ، والكرم

نداؤه الصّدق ، والإخلاص رائده   وفي صداه يذوب الجرح ، والألم

فنحن ـ من قبل هذا الجمع ـ وحّدنا   على صعيد علانا ـ الدّين والرّحم

ففي غد تلتقي «بغداد» ، ثانية   بأختها .. ويلاقي المغربَ الحَرَم

ويلتقي «اليمنان» التّوأمان على   نهج ، به يلتقي «صِنينُ» و «الهرم»

فإن توحّد شعب العرب : رايتُه   وعزمه ، والهوى ، والرّأيُ ، والكلم

وإن توحّد جيش العرب : صارمُه   وقلبُه ، والمدى المنشودُ ، والهمم

فعندها ، ستعود «القدس» ، ثانية   وعندها ، قمم «الجولان» تضطرم

وعندها ، لم نعد في أرضنا هَمَلاً   يسومنا العسفَ : جبّار ومنتقم

ولم نعد أمّة حَيْرَى يقال لها :   «يا أمّة ، ضحكت من جهلها الأمم»

سيسقط الزّيف عن كلّ الوجوه ، فما   وجه بغير قناع الصّدق يلتثم

ويلتقي جانحا نسر.. قوادمه   إذا هفت ، فمداها النّجم ، لا القمم

وعندها ، يقف التاريخ ، مؤتلقا   يُملي صحائفَ ، لم يحلُم بها قلم

ألقيت بمهرجان الشعر العربي الذي أقيم بمدينة «طرابلس» يوم 23 سبتمبر 1980 م .

حلبيّـــة

حـلـفت بوجـهـك الـعربي وبــــــــالأمجاد والحسبِ
وبــــالأمــويّ والـصّـــلوا ت .. والمحراب .. والـكتب
وكــلّ شريـعـــة لــلـنّـا س قد نزلت ، وكـلّ نبي
بكـلّ فـتًى إلى العليـا ء إن تـنسبـه ... ينتسب

* * * *

وبـالـنّـهـر الضّـحـوك يهـ ـشّ للأزهـــار .. والـعُشْب
بـــبوح الــيـــاسمين عـلى نسمات الصّـــبا الــرَّطْب
وبـالــلـيـمون .. والـزّيـتو ن أو بـالـتّين ... والعنب
غـراس الـغوطـة الـفـيحا ء ، ذات الـغلّة الـعَجَب

* * * *

حلفت بكلّ واضحة الـ ـجال ، صريحة النّسب
بكلّ وضيئة القسما ت ، كلّ غزيرة الهدب
وكلّ كريمة للنحو ر .. ينميها أعزّ أب
وكلّ مليحة العينيـ ـن ، من حمصٍ إلى حلب
يغار الصّبح إن طلعت بوجه نصف منتقب
ويندى الورد من خجل على الأغصان والقضب
ويعبق دربها أنّى مشت في الوشي والقَصَب
إذا خطرت .. فيا شوقُ اضْـ ـطَرِمْ .. يا فتنةُ اضطربي

* * * *

حلفت .. وما حلفت بها على حِنْث .. ولا كذب
بأنّك يا بلاد الشّا م ، مَهْوَى اللّطف والأدب
وأنّ هواك يجري في دمي .. ويَمُور في عَصَبِي
وأنّي يا دمشق أرى بوجهك ... وَجْهِيَ العربِي

* * * *

غسلت على ضفاف هوا ك ، بعض الشّوق .. والتّعب
أتيتك بعد عشر كنّ بي أسرفن في اللّعب
فإن أنكرت ما أنكر ت من مَرَحي ، ومن طربي
فهنّ وَسَمْنَنِي . بالمَيْـ ـسَمَيْنِ الشّيبِ ... واللّحب

ومن عجب .. يهيم فتًى بحبّك يا ابنة النّجب
وينأى عنك عشرا ثـ ـم لم يهرم .. ولم يشب

* * * *

أحبّك يا دمشق ، وإن نأى بي عنك مضطربي
أحبّك عزمة صمدت على الأحداث والنّوب
أحبّك قصّة تُروَى ـ على الأيّام ـ للعَقِب
ومجدا كان لمّا كـ ـان .. عنه الشّمس لم تغب
وجندا في سبيل الحـ ـق ، بين الرّكض ، والخَبَب
يد فيها كتاب اللّـ ـه ، مجلى الشّك والرّيب
وأخرى صارم يهوي على الأوثان والنّصب

* * * *

ولي عينان : واحدة ترفّ عليك من كثب
وواحدة : بها حَلَبُ معلّقة على الهدب
لقد حيّرتما قلبي وقلبي مسرح الرّيب
كلا الوجهين يجذبه بما قد مدّ من سبب
فلم يعرف أذات الحسـ ـن ، يعشقها .. أم الحسب ؟
فأنت دمشق : حاضنة الـ ـعلى ... وربيبة الشّهب
وتلك القلعة الشّمّا ء ، قد شمخت على السّحب

أحِـبَّـتَـنـا بـأرض الشّـا م ، مثوى السّادة النُّجُب
بلاد قـد بـراهـا الـلّـ ـه من لطف ، ومن أدب
وأرض الصّـانـعين المجـ ـد ، لم يَبْهَتْ على الحقب
ومـطـلـع كـلّ نجم عن سماء الـعـزّ لم يـغب
بلاد الـمِـزْهَـر الـرنّـا ن ، روض البلبل الطّرب
ودنـيـا الـفنّ والإبـدا ع ، والأقلام ... والـكـتب
يـراعتهـا : مجنّـحـة بـأجـنـحـة من الـذّهب
إذا طربت .. جرت بجديـ ـثها ، كسلافـة الـعـنب
وإن غضـبت .. فـكـالبركـا ن ، حين يمور بـالـلّـهب

* * * *

سلامـا من رُبى وطـني سلام الحبّ .. والحدب
فـنـحن وأنـتـمو أبـدا عن السّـاحـات لم نـغب
ولـيس بـغير منهـجـنـا تـعود مـكـاسب الـعـرب

لغـــة المـرء ... ذاتـــه *

مـرحبـا بـالـرّجال ؛ بالسيّدات بـالشّباب الوضيء ، بالآنسات
بـالـوجـوه التي تشعّ سناء والـقـلـوب الـرّحـيـمـة الخيّرات
بالأكفّ التي تَشيدُ ، وتبني والـعـقـول المنيرة المشرقـات
أنـتـمـو كلّما طلعتم بأفق تـنـجلي عـنـه حلكة الظّلمات
كالنجوم الوضاء في غيهب الليـ ـيل وكالروض في اليباب الموات
أنـتـمـو زيـنـة الحياة ، فلولا أنتمو.. أظلمت وجوه الحياة

* * * *

يا رفاق الطّريق ، يا من حملتُم أمـنـيـات الآبـاء والأمّـهات
قـدوة أنتمو لناشئة الجيـ ـل ، وأنتم ذُبَالَةُ المشكاة

* ألقيت في الاحتفال باختتام دورة تنشيطية تدريبية لمعلمي اللغة العربية في بنغازي صيف 1981 .

ومثال لكل طفل نجيب يحتذي حذوكم .. وكلّ فتاة
حسبكم أنّكم حملتم قلوبا كقلوب الآباء والوالدات
هذه الأرض ، لو خلت منكم الأر ض .. لعادت كئيبة القسمات
نلتقي ـ دائما ـ على الحبّ والخير ر ، ونهج الرّشاد .. والبركات
لا تحفّ الملائك الطّهر إلّا ملتقًى مثل هذه الحلقات
جلّ من علّم البيان ، وأوحَى فإذا الكون مشرق الجنبات
وإذا العقل : ومضة من ضياء في ليالي الجهالة الحالكات
باليراع البديع قد علّم الإنـ ـسان حتّى استوى على النّيِّرات
شرفٌ أن نكون ممّن حباهم بعطايا البيان ربُّ الهِبَات
واصطفاهم لأن يكونوا وعاء لضياء الحروف والكلمات
أكرمُ النّاس أنتمو إن وفيتم بالعهود الكريمة المُلزِمات
تنقضي حلقة ، لتبدأ أخرى هكذا .. هكذا فصول الحياة
كلّ أيّامكم كفاح ، وجدٌّ وتَحَدٍّ بالنّور .. للظلمات
ان يكن غيركم يبيّض وجه الـ ـليل باللّهو بين : خذها ، وهات
فلأنتم تبيّضون اللّيالي بالذي تصنعون من حسنات

* * * *

من رأى ساهرا ، يخطّ ، ويمحو حوله الكون غارق في سبات ..
.. وهو يقظان ، ليس يغمض جفنيـ ـه ، إذا هوّمت رؤوس الغُفاة
عاكف بين دفترٍ ، وكتاب راعش الكفّ فاتر النّظرات

يبتغي لفظة هنالك ، ندّت أو جوابا ، قد تاه في الصّفحات

فإذا ما استقام في ذهنه الأمـ ـر ، تولّى في الطّرس نظم الشّتات ..

قلم في يمينه راعف الرّيـ ـشة ، إن عبّ من شفاه الدّواة

كلّما اسودّ في الصّحيفة سطر ضحكت سنّه من المعضلات

ثمّ تنْثَالُ جملةٌ بعد أخرى تتهادى رشيقة الخطرات

فهو كالنّحلة التي تجمع الأرْ يَ رحيقا من زهرة أو نبات

تلك آماله .. وآمال غَرْثَى[1] تتأيّى[2] قطافهُ الثّامرات

* * * *

دربكم حافل بكلّ عسير فتواصوا بصبركم ، والأناة

نحن من قبلُ قد مشينا عليه ورشفنا مرارة السّنوات

لم نكن نملك الكثير ، ولكن بالذي عندنا من الآلات ..

..قد صنعنا شيئا .. وأنتم على الدّر ب .. حملتم سناجق الرّايات

لم يكن عهدنا ، كعهدكم اليو م ، بما قد أتيح من معطيات

كلّ شيء لكم تهيّأ أسبا با ، فلم يبق غير عزم البناة

* * * *

---

(1) غرثى : جياع .

(2) تتأيّى : تنتظر ، تتحيّن .

لغة الضّاد أنتمو بعض من يحـ ـمي حماها ، كأقدس الحرمات
لغة عذبة على السّمع والقلـ ـب ، بتلك الخصائص النادرات
بمجالي جمالها يُفتن السّمـ ـعُ ، وحسنِ «التّجريدِ» و «الالتفات»
فإذا «أوجزتْ» أحاطت وأربَتْ وإذا «أطنبتْ» ، فكالمرسلات
«باستعاراتها» اللّطيفة و «التّشـ ـبيه» ، أو «بالمجاز» و «التّوريات»
وبما كان من «بناء» و «نقض» ووقار «السّكون» و «الحركات»
«وبمدٍّ» على الحروف و «قصرٍ» وبهذا «الإظهار» و «الإخفات»
و «كناياتُها» الحيّيّةُ ، فيها بعض طبع الحرائر الخَفِرات
تتعدّى باللّفظ معنًى قريبا لمعان بعيدة أخريات
وهي تنساب في دلال ، ولطف كانسياب الجداول المُتْرَعَات
لغة ثرّةُ الينابيع ، تجري سلسلا في الشّفاه ، واللّهوات
لم تقصّر تناولا ، وأداء عن مدى غاية من الغايات
حسبها أنّها تولّت كتاب الـلّه مُجْلِي الشّكوكِ والشّبهات
فكساها على الزّمان خلودا واعتزازا بآيه البيّنات
بهرت كلّ مِدْرَةٍ[1] بحديث كان إحدى الخوارق المعجزات
واحتوت كلّ رائع ، وجميل من نتاج القرائح الملهَمات
فارفعوا شأنها ، ولا تهملوها ، وابحثوا عن كنوزها المغلَقات
قرّبوها إلى النّفوس ، بعرض شائق ، تُفحموا دَعَاوَى الجناة
لغة المرء .. ذاته ، فأعزّو هـا ، تُعزّوا نفوسكم والذّوات

---

(1) المِدْرَةُ : السيد الزعيم ، وقد يطلق مجازا على المتحدث اللبق والمحاجج البارع .

مغربيّـــة

الصّيف نبّه في صميم كياني مقلا من الآمال والأشجانِ
قد مسّ في الأعماق جرحا غائرا عالجته من قبلُ بالكتمان
وأثار كلّ خبيئة مكنوزة وارَيْتُهَا من ذكريات زمان
مرّت شرائط عهدها فتزاحمت صور من الأفراح والأحزان
فإذا بنفسي للهوى توّاقة وإذا بقلبي مسرع الخفقان
في كلّ عام رحلة ، ومسيرة خضراءُ .. نحو جزائر المَرجان
أصبو لها ، وأظلّ أرقب حينها في لهفة المتشوّق الظّمآن
قَد عِفْتُ تكرار الوجوه ، وملّني ومللت حتّى صُحْبَتي ، ومكاني
وسئمت من عيشي الرّتيب رَتابة ضاقت بها نفسي ، وضاق زماني
لا بدّ للمصدور من نفثاته ولصاحب الحمّى من الهذيان
إنّي امرؤ خصب الخيال ، مطامحي في الصّيف قد تربو على حسباني
أهفو ، ولكن ربّما قصرت يدي وأريد ، لكن ليس بالإمكان

أبدا يكلّفني الجمال .. ودَرْبُهُ ما ليس في طوقي .. ولا وجداني

وتقول لي نفسي إذا هي أحرجت في أوليات الصّيف من نيسان

من لم يسر في الأرض ، ليس بمصبر ما في جمال الكون من ألوان

ما ضاقت الدّنيا بمثلك فاهتْبِلْ فرص الحياة ، فأنت في الرّيعان

ولكل حسن من فؤادك موضع ولكل لفظ في هواك معان

إنْ قلّ وُجْدُكَ إنّ نفسك ثَرّة زخّـــارة بمشاعـــر الإنســـان

تهفو إلى صور الجمال وتقتني آثـاره ، مشـبوبـة الـوجـدان

تستنطق الأشياء ، وهي أعاجم وتهيم ـ كالشّعراء ـ في الوديان

وترفّ كالعصفور ، حول جداول ، رقـراقـة ، وتـلـمّ بـالـغـدران

وتـزور كـلّ خـمـيلـة فوّاحة غـنّـاء مـثـل فـراشة البستان

تغدو مع الفتيان في درب الهوى وتؤوب ـ خاشعة ـ مع الرّهبان

وتصوغ من صور الجمال عرائسا تحكـي لـعاشقها بكلّ لسان

فانهض ـ على اسم الله ـ لا متقاعسا ماذا جنَى المتقاعس المتواني ؟

سِحْ في البلاد ، ملاحظا متأمّلا مـثـل الصّلاة ، تأمل الفنّان

فبسطت خارطة البلاد أجوسها بخواطـــر المتـــلـــهّـف الهيمان

طوّفت فيها ـ بالخيال ـ أرودها فتزيد من شوقي ومن تحناني

الشّرق تَبْهَرني طلاوة سحره والغرب كم بجديده استهواني ؟

فهنا طيوف الذّكريات شواخص وهـنـا عـيون المغريات روان

فحسبت ـ كالرّجل الحصيف ـ دراهمي لأرى ستـوصلني لأي مكان

وحزمت ـ في مرح الوليد ـ حقيبتي ولبست نعلي ، واعتقلت سِنَاني

ورسمت خطّ السير فوق خطوطها وكـتـبـت قـائمة مـن الـبـلـدان

لاحت خيالات المدائن والقرى ... مثل السّفائن من خلال دخان

وتنازعتني ـ في الظّنون ـ نوازع ... شتّى إلى روما.. ولليونان

فصرفتها ، فأطلّ ثمّة هاتف ... يدعو إلى بغدادَ أو عمّان

وتزاحمت حولي الخواطر والرُّؤى ... فأنا كمثل الحالم اليقظان

فعلى غياض الشّرق خفقة جانح ... وعلى رياض الغرب ظل أمان

من أين أبدأ ، إنني متحيّر ... واضَـيْعَةَ المتذبذب الحيران؟

ألى ربوع الشّام أجعل وجهتي ... في السّير.. أم أغْشَى رُبَى لبنان؟

أم تونسَ الخضراء؟ ، وهي خميلة ... للمتعبين.. وريفَةُ الأفنان

فهنا المحاسن قد ملأن مشاعري ... وهنا المفاتن قد ملكن جَنَاني

وهنا الثّغور المشرقات بشاشة ... وهنا القدود تميس كالأغصان

أم يا ترى مصرًا؟ ، ومصرُ حديثُها ... مازال في سَمْعَيَّ كالألحان

من نيلها استلهمت نصف قصائدي ... ومن النّخيل حَنَتْ على الشُّطآن

ومن القرى الخضراء ، حول رياضها ... للصّائدين مسارحُ الغِزلان

فهنا العيون الحالمات بليلة ... من ألفِ لَيْلَة قد جذبن عناني

وهنا على جسر «الزّمالك» خافق ... ضيّعته في هاته الأجفان

وبقيت أشطب من هناك ومن هنا ... بلدا... وألحقه الغداة بثان

وطن العروبة كلّه لي موطن ... وبنو العروبة كلّهم إخواني

لكنّ هذا لا يوافق (جوُّه) ... روحي.. ففيه أحسّ بالغثيان

وأحسّ في هذا ، بأنّي ضائع ... وأحسّ في هذا بأنّي عان

فوقفت مكلوم الفوائد ممزّقا ... قلقا.. أعالج حيرتي ، وأعاني

مثل المسافر سار دون هويّة ... ومشَى بلا هدف ، ولا عنوان

ونظرت حولي كالغريب، يريبه همسُ النّساء، ونظرةُ الصّبيان
خَجِلَ الخُطَى متردّدا، كادت به تتعثّر العينان... والقدمان
جمّ الخواطر، قد أضاع مساره بين الرّجاء الحلو.. والحرمان
حتّى إذا كاد القنوط يلفّه وتنال منه مرارة النَّدْمان
فإذا الرّجاء يلوح في آفاقه كالبِشْر، حين يلوح في الأحزان
وإذا به مَرِحُ الخُطَى متهلّل ـ طربا ـ كمثل الشّارب النّشوان
وإذا بآلاف الشّكوك، تبدّدت وإذا ربوع المغرب الفينان...
.. تبدو.. كما تبدو الصُّوَى في مهْمهٍ قَفْرٍ، لعين التّائه الحيران
فكموطني هو، في الجلال وفي السّنا وطهارة الأذيال... والأردان
«الأخضر» الزّاهي المباركُ حوله «كالأطلس» المتألّق «المزيان»[1]
ركنان في الحسب العريق وفي العلا والمجد والإسلام... يلتقيان
فهنا ثغور الأمنيات بواسم وهنا بواكير القطوف دوان
وطن لو أنّي كنت متّخذا سوى وطني... لكان بحسنه أصباني
الأطلس العملاق، شمّاخ الذُّرى بالمنتمينَ إليه... بالفرسان
(بالرّاكزين على النّجوم لواءه) بالرّافعين شوامخ البنيان
والأرز مزهو المناكب عزّةً مترصّد كالحارس اليقظان
شهد الدّهور قديمها وجديدها ومواكب التّاريخ.. والأزمان
فحكَى أقاصيص المحبّة والهوى وروى حكَايا المجد والعرفان
قد زاده الصّمت الوقور مهابة كالشّيخ في سَمْتٍ وفي اطمئنان

---

(1) الأخضر: الجبل الأخضر في ليبيا. ـ «المزيان» باللهجة المغربية: الجميل.

لم يُغرِهِ صخبُ الدّعاة ولغْوُهم — وسخافة الإعلام والإعلان[1]
من لا يرى ضوء النّهار لعلّة — فاحسبه أن أمسَى من العميان
فهنا الطّلاقة والبشاشة والنّدى — وتهلّل الأرواح في الأبدان
فكأنّني ـ لمّا حللت بأرضه ـ — جزت انعدام الثّقل في الأوزان
فغسلت عيني من رُؤًى علِقت بها — ونفضت عن سَمْعَيّ ما أشجاني
وطرحت كلّ مشاكلي ومشاغلي — وطهُرت من دنسي ومن أدراني
أنّى اتّجهت ، فللجمال شواهد — ولدولة المجد العريق مغان
الشّاطئ المِمْرَاحُ ينضح فتنة — برماله الذّهبيّة الألوان
والبحر يرقص موجه متهلّلا — كتهلّل الفتيات والفتيان
والحسن يلقي في العيون شباكه — فيصيد كلّ متيّم ولهان
والنّاس من يظفر هناك بصاحب — منهم ، يفز من دهره بأمان
فهنا تعلّمَ ـ في البداية ـ « طارق » — صيدَ النّجوم ، وحنكة الرّبّان
وهنا بقايا من مآثر « يوسفٍ » — وهناك خفق من خطا « حسّان »
وهنا « الرّباط » على المحيط تربّعت — تزهو بتاج الحسن والسلطان
والدّرة « البيضاء » تختلب النّهَى — وتتيه كالحسناء بين حسان
وهنا منائر « فاسَ » تَهدي في الدّجَى — بشعاع نور العلم والإيمان
فيها رياض الصالحين وحولها — حلقات ذكر الله والقرآن
تزكو بساحتها العقول ، فبوركت — من منبت خصب ، ومن بستان

(1) هذا البيت يشير إلى الدعاية التي يحاط بها أرز لبنان حتّى جعلوه رمزا له ، والعرب في كل أقطارهم لا يعرفون مناخه . مع أن أرز المغرب لا يقل عنه روعة وكثرة .

وهنا ـ هنا ـ «الحمراء» ، وهي مثابة   وهنا ربوع العزّ من «تطوان»
لو لم تكن دار الحبيب حسبتها   فيما أعدّ مليكة البلدان
هي ربع «ميّة» ضاحكا متهلّلا   جذلا .. أراه بمُقْلتَيْ «غيلان» (1)
يا مغربا ، مازال مطلع أنجم   ومحط آمال وركن أمان
مثلي ومثلك ـ في المحبّة ـ شاعر   شطّت نواه به عن الأخدان
فإذا به قلق الجوانح حائر   قد ذاب من وَجد ومن تَحنان
ضاقت به «جيحان» ـ وهي فسيحة ـ   فصبا إلى مثواه من «بغدان» (2)
ودعا : فردّ الله غربة قلبه   ردّ السّحاب عوارف الخلجان
حُيِّيت يا وطن الكرام وبوركتْ   سير البطولة فيك والشّجعان
عوّذتُ فيكَ الحسنَ حين شهدتُه   بالله مبدع هذه الأكوان
بـ«النّاس» بـ«الفلق»المبين و «بالضّحَى»   و «اللّيل» و «الإخلاص» والفرقان
يا ملهم الشّعراء أعذبَ ما روت   شفة ، وما هشّت له أذنان
سلِمت لديكَ الملهماتُ قصائدي   والموحيـاتُ بهذه الألحان
لا فضل لي فيهنّ ، غير صياغتي   وتناغم الألفاظ في الأوزان
فاسلَم لما تمليه ، كنزَ خواطر   واسلَم ـ لما توحيه ـ فيضَ معان

---

(1) غيلان : هو ذو الرّمّة الشّاعر المعروف ، و «ميّه» : صاحبته .

(2) بغدان : صيغة من صيغ اسم «بغداد» . والشاعر المومأ إليه هو : مسلم بن الوليد وبيتاه المشهوران :

قالوا خراسان أقصى ما يراد بنا .... الخ .

لا .... ما سهـــرنا

معارضة لنونيّة ابن زيدون : أضحَى التّنائي بديلا ...

لا ... ما سهرنا ، ولا طالت ليالينا ولا تغيّر شيء بعدكم فينا
لمّا نزلْ ، تملأ الدّنيا بشاشتُنا وتُرقص الكونَ أن نهتف أغانينا
ويطلُعَ البدر في آفاقنا جذلا وتغمرَ الشّمسُ إن تشرق روابينا
ويضحك الورد لمّا أن نمرّ به فوق الغصون ـ صباحا ـ كي يحيّينا

* * * *

بنتم وبنّا .. فلم تخفق جوانحنا شوقا إليكم ، ولا ابتلّت مآقينا
ننام ملء جفون اللّيل إن سهرت مِن حولنا مُقَلُ القوم المحبينا
فما يلمّ بنا طيف يؤرّقنا ولا تطيف بنا ذكرى فتشجينا

ولم يعد خاطر منكم يراوحنا ولم يعد هاتف منكم يغادينا
وقربكم لم يعد إحدى رغائبنا ووصلكم لم يعد أحلَى أمانينا
لقد رحلتم فلم تشمت حواسدنا ـ كما أردتم ـ ولم تفرح أعادينا
فإن ظننتم بأنّا قد نذوب أسًى يوم الفراق ، فوهم ما تظنّونا
كنّا مجانين حقًّا في محبتكم والآن قد عاود العقلُ المجانينا
فما أسفنا على أيّام صحبتكم ولا استبدّ بنا شوق فيضنينا
ماذا سنذكر عنكم بعد نأيكمو يا من ترحّلتمو إلّا مآسينا
لقد شربنا على أيّامكم جرعا من الهوى ، كنّ : زقّوما ، وغسلينا
فما نقول بأنّ البين أزعجنا إذ طالما أزعج النّأي المقيمينا
ولا نحمّلُ إنْ مرّ النّسيم بنا رسائلا كـمـكـاتيب المحبّـيـنـا
(فقد هصرنا غصون العيش دانية قطوفها ، فجنينا منه ما شينا)
وبعدكم نحن لم نعدم مصاحبة كصحبة الورد خيريا ونسرينا
نغدو اليها ، فلم تثقل كواهلنا كمثلكم ـ حين كنتم ـ ، أو تعنّينا
كانت لكم صورة في القلب زاهية أنتم عبثتم بها شكلا وتلوينا
منكم سئمنا دلالا كان يرهقنا عسرا ، وعفنا غرورا كان يؤذينا
وقد طوينا كتابا في محبّتكم عـنكم أخذناه إملاء وتلقينا
كنتم فصولا بها تزهَى صحائفه وكـنـتـمو فوقها حينا عناوينا
إن غرّكم أنّنا كنّا نحبّكمو فـلـتـعـلـموا أنّـنا كنّا مغالينا
لقد قطعنا قيودا كان قيّدنا بها الوفاء ، وقد كنا جديرينا
فما الزّمان الذي قد كان يضحكنا أنسا بقربكمو.. قد عاد يبكينا
الحمد لله ، مازالت أصائلنا كما نحبّ ، ومازالت أماسينا

ولم نزل نبصر الدّنيا برونقها	مواسما بالهوى والحبّ تغرينا
وكل يوم نراه ـ إذ يمرّ بنا ـ	فطرا، وأضحَى، وفصحا، أو شعانينا
والآن أزهر من آمالنا أمل	ما كان يُزهر.. واخضرّت حواشينا
نهتزّ للصّوت إذ غنّاه مطربنا	لفظا، ومعنًى، وإيقاعا، وتلحينا
ونشرب الرّاح إن حُثَّتْ مشعشعة	لا كي تهدهدنا عنكم وتنسينا
نعبّها مترَعات لا نغصّ بها	حتّى وإن قالت الأيّام آمينا
تغيّرت بكمو حال ـ فغيّرنا	حال ـ فهل يا ترى كنّا مجازينا؟
ما ضرّ لو أنّكم أبقيتمو سندا	من المودّة معقودا بأيدينا
وهل لنا أمل في أن يعادوكم	شوق إلينا ـ كما بتنا مشوقينا؟
وهل لنا ـ بعد ـ أن نَحْظَى بوصلكمو	وأن نجدّد من أيّام ماضينا؟
فشوقنا كلّما لاح الهلال لنا	بأفقكم فوق ما كنتم تظنّونا
لكن نكابر إرغاما لحاسدنا	فيكم، ونخفي الأسَى دَرْءًا لشانينا
ونتّقي قولة كنّا نحاذرها	إن نحن بحنا بما بتنا مقاسينا
أسمعْتَ.. لوكان من ناديت ذا أذن	فما دعاؤك من ليسوا مجيبينا
واهًا على مشرقيٍّ بات خافقه	رهنا هنالك عند المغربيّينا
تخطّفوه بألحاظ مكحّلة	وجرّحوه وما كانوا مواسينا

* * * *

يا أخت «ولّادةٍ» تيها وغطرسة	هلّا ذكرتِ ابن زيدونٍ وزيدونا
وهل أعدت مكاتيبا يحمّلها	أنّى خطرتِ له الطّيرَ الميامينا

(لم نذكر اسمك إجلالا وتكرِمة) لكن ذكرناه تلميحا وتضمينا

فلاسمك العذب في أفواهنا نغم مازال كاللّحن إن نسمعْه يشجينا

فما نطيق على بُعدٍ مصابرة تعذّر الصّبر مذ بتّم مجافينا

ولـدي والعـــشرون

ولدي .. أنت فداك الحسّدُ أنت .. في نفسي المَنى والرَّغَدُ
لك في قلـبي مكان مفردُ لم يـنافسـك عـليه أحد
وروًى .. في مـقلتي ، حالمةٌ وهـوًى .. في مـهجتي متقِد
بك ، أيّـامي وِضَـاءٌ نُضَّرٌ ولـيـالـيَّ حِسـانٌ خُـرّد
أنت ـ في عينيَّ ـ طفلٌ أبدًا مهدُك العينُ التي لا ترْمَد
أملي أنت ، ويومي ، وغدي لم يكن ـ لولاكَ ـ يومي ، أو غد

* * * *

عيد ميلادك عندي ، لم تزل صـورة مـنـه احتواها الخَلَد
حـلوةٌ ، مشرقـةٌ ، نـابضـةٌ لوّنتها من رُؤًى الغيب يد
فالليالي : نغم ـ في مسمعي ـ ولحون ، والأمـاسي : عسـجد

وأنــا روحك لـمّا ينتشي ... وأنــا جـفـنك لّما يسـهـد
وأنا أنت إذا ما تشتكي ... وأنا أنت .. إذا ما تسعد
أنت والعشرون في عيني دُنًى ... حــافلاتٌ ، ورُؤًى تحتشــد
وأمان ... كلّما زادت بك السـّ ... ـنُّ ، فَهْيَ المشرقات الجُدُد
أنت يا طفلي : صغير دائما ... ناشىء ، أو يافع ، أو أَمْرَدُ
فعلى عيْنَيَّ تنمو ... مثلما ... قد نما في الرّوض غصن أملد
تتمشّى في مسارات العلا ... مثلما في الأفق ، سار الفرقد
كــلّما أفضى إلى مــرحـلـة ... بك عزم ... قلت : لا ، لا أقعد
وتــلـمّست بـعـزم صـادق ... موردا ، إن جفّ يوما مورد
كلّ يوم ، لك عندي خلّة ... هي ما أرجوه ، أو ما أحمد
وسجايا ... كنتُ قد طالعتُها ... فيك ، لمّا أن جلاك المولد
كان لي من قبلُ آمالٌ ، فمذ ... لاح .. فالآمال : هذا الولد
حـفـظ الله عـلـينا أنعما ... هو منها ... لم تزل تطّرد
لم يضِـرْنـا أنّـه مـنـفـرد ... هكذا البدر : وحيد ، مفرد
كلّ بيت ، لم تَلُحْ في أفْقه ... نجمة ، أو لم يشعشع فرقد
هو عندي ، روضة مهجورة ... في يبابٍ ، أو يبابٌ فَدْفَد
أيّـها اللّاحي إذا أطريتُه ... أنت لا تعرف ماذا أقصد
لم يكن حُبِّيهِ تُمليه « الأنا » ... أو لأنّـي فيـه يوما أخلد
بل لِسِرٍّ ، لست أدري كنهه ... إنّـه المحجوب عمّـن ينشد
جلّ مَن أفرغ مِن رحمته ... قَـطَـرَاتٍ أُشرِبَـتْـهـا الـكـبد
فإذا فيها إذا استطلعتَها ... ليس إلّا : والدٌ ، أو ولد

الخمسون

خذي ما شئتِ ، أو فذَري   فمالي فيكِ من وَطَرِ
لقد كلّفتِني شططا   بهذا الدّلّ .. والخَفَرِ
فصار هوايَ غيرَ هوا   يَ ، قبل الشّيبِ ... والكِبر
وبتّ ، كأنّني : بغدا   دُ ... تحت سنابِكِ التّتَرِ
عرفت عيادةَ الأسنا   نِ ، بعد عيادة النّظرِ
فإنْ أنكرتِ ما أنكر   تِ ، من مَرَحي ، ومن أَشَرِي
فتلك جنايةُ الخمسيـ   ـنَ ، حين تتبّعتْ أثري

* * * *

كأنّي لم أكن من قبـ   ـلُ : ماضي العزم .. والبَصَرِ
ولم أستهوِ فاتنةً   بوجهٍ مُشرقٍ ... نضِرِ

ولم أفتـرّ إذ أفتـرُّ عن صَـفَّـيْن : من درر
ولم أنهض لحاجـاتي نهوضَ الصّـارم الـذَّكَـر
ولم أكُ في شؤون القلـ ـب : ذا حِذقٍ ، وذا بصر
هواي : مجدّدٌ ـ أبـدا ـ لـكـلّ البيض .... والسُّمرِ
وحين تصـدّ واحـدةٌ يـكون لـغيرها وطَري
أقـابـل كـلَّ قـاسيةٍ بـقـلب : كـان كالحجر
ولا أصـغي لـعـاذلـةٍ تحذّرني من الخطـر
ولم آبـهْ لما قـد كـا ن ، أو سيكونُ من غَرَرِ
ولا جرّبتُ طعم الصّـ ـدّ .. والهجران ... والسّهر
ولم أفطن لما في الدّهـ ـر ... من : غيَرٍ ... ومن عِبَر
أرى الـدّنيا ... وما فيها كـمـثل : قُلامَـةِ الـظُّـفُـر
ولم أحسب حسـابَ غـدٍ ، غدٌ : لا شيءَ ـ في نظري ـ

* * * *

صَـحَوْنَـا ، بـعـد إغـراقٍ لـنـا في الجهل ... والغَمرِ
ونـبّـهـنـا المشيب إلى هـنـات الدّهر ... والغِيَرِ
وأزعـجنا ، كمثل الطّيـ ـر .. قد ذِيدَتْ عن الشّجر
وأيـقـظنـا ... وكنّا قبـ ـلُ ، في دوّامـة الـخَـدَرِ
فصرت الـيوم : لا أشتـا ق ، غيرَ الأنسِ ... والسّمر
فـوا أسفي ، على ما ضا ع ـ في لا شيء ـ من عُمُري

* * * *

هي الخمسون.. هل تدريـ ـن، معنَى الضّعف.. والخَوَرِ؟
لـقـد هَدْهَدْنَ من أشَري وقد كَفْكَفْن من بَطَري
وقـد علّمنني، لو ينـ ـفع التّعليمُ في الكبر:
أمورا، قد سخِرت بها غداةَ صباايَ كالزّهر
فمَنْ ذا باعثٌ مرحي؟ ومَنْ ذا موقظٌ صغري؟
ومن ذا مرجعٌ عهد الصّـ ـبا المتأنّق.. العطر؟
غَنِيتُ به عن التّمويـ ـه.. والتّزويق... والسُّتُر
فكم أصْبَيْتُ فاتنةً به... زهراءَ، كالقمر
وكم روّضتُ نافرةً كظبي الرّملة.. الحذِرِ
تتيه بقامةٍ كالغصـ ـن معقودٍ على الثّمر
وقد نشرت على صبحٍ دُجَى ليلٍ من الشّعر
تصيد بمقلة فتنت قلوبَ النّاس بالحور
بها تستأنس الوحشـ ـيّ لو رمَقَتْهُ بالنّظر
وتترك هاتفَ الأطيا ر مشدوهًا على الشّجر
أقول لها ـ إذا خطرت تدلّ بعودها النّضر:
رويدك، إنّنا بشرٌ وحسبُكِ.. فتنةُ البشر

* * * *

لقد عبثت يَدُ الأيّا مِ: بالآثار... والصّور
وما أبقت لنا في المقـ ـلة النّجلاء... والطُّرر...
ولا في معرض الإدلا ل... أمجادًا لمفتخر

ولا في موقف التّشبيـ ـب : غيرَ العَيِّ ... والحَصَرِ
ولا مـا يَـطَّبي مـقلا تشـابـه أعين الـبـقـر
ولا مـا يسـتبي أذنـا تـذوب لهمسـة الوتـر
أروح بـغصّـة في الحلـ ـق .. إن صوّبْنَ بالنّظر
وكـان حـديثـنا فيهـنّ مثل نسائم السّحر
فصـار حـديثـنا المأثـو رُ عن زيد ... وعن عُمَرِ
وعن جشع التُّجار ، وعن جـنوح الجيـل ... والخور
وعن شتّى شؤون النّا س ، من بَدْوٍ ... ومن حضر
وما في السّوق من سلع وما في الحقل من خضر
وما في الشّرق من نبإ وما في الغرب من خبر
وعن أيّـانَ لاح البر ق ... بالأنواء ... والمطر
وعن أحداثِ مجتمع وعن أخبار مؤتمر
وعمّن راح في سفر وعمّن عاد من سفر
وعن أشياءَ لا تجدي ولا تغنيك من عُسرِ

* * * *

وصار حديثُ ذات الخا ل بعضَ طرائف السّمر

* * * *

فقل : يا رب ... قل يا ربّ في الإمساء ... والبُكَرِ

تجاوزْ عن خطيئاتي وكن سَنَدي ... وكن وزَري
وكن يا ربّ في قلبي وفي سمعي ... وفي بصري
وكن لي يا عظيمَ المـ ـنّ ، في سفري ... وفي حَضَري
وكن لي يوم أن ألقـ ـاك ، أمنَ الخائفِ الحَذِرِ
لقد أنفقت مدّخَرِي فكن يا ربّ مدّخَري
ولا تسأل ... فمالي غيـ ـرُ عفوِ منك من عُذرِ
وحسبي أنّني يا ربّ لم أشرِكْ ... ولم أحِرِ

زمــان الصّبــا ...*

يا زمان الصّبا .. عليك السّلام لوّحتك الأحداث والأعوام

والأحلام لوّنتها الأوهـام ... صورةً كنت في إطار حياتي

إنّ شوقي إليك، شوق غريب أنكرته البلاد ... والأقوام

هائم .. زَادَهُ خيال ووهم وبعينيه كلّ شيء ظلام

فيك علنا بالحبّ كلّ اليتامَى ثمّ عدنا ... كأنّنا أيتام

* * * *

يا زمان الصّبا ... وأنت زمان تتحلّى بحسنه الأعوام

كلّ ما كان في حماك حلالا هو في شرعة المشيب حرام

---

* أعدت بمناسبة اختتام بعض مهرجانات الشباب الرياضية في بنغازي 1980

فالوجوه الصِّباح ، صارت ـ بعيني ـ قد عَرَتْهُنَّ كُدرة ... وقَتَام
والعيون التي لنا من سماها يستهلّ الإيحاء ... والإلهام
أينها ؟ ... أينها ؟ بحثت كثيرا حال بيني ـ وبينهنّ ـ الزّحام
لم أجدها هناك ، بل لم تجدني أنكرتني لمّا تولّى الوسام
يا زمان الصّبا ... وريثك هذا نقضه ـ في أمورنا ـ ... إبرام
مالنا حرمة لديه ، وعهد أو لنا صحبة ... ولا أرحام
قد سبانا : شاراتِنَا ، وحِلاَنَا فحلانا : كهولة ... وسقام
لم نعد نطّي بوجه وضيء أو تعد ـ في الهوى ـ لنا أحكام
غوّرت في العيون إيماضة الحـ ـبّ ، وغاض الصّبا ، وجفّ القوام
كلّ طور من الحياة بوجه مشرق مرة ... وحينا جهَامُ

* * * *

يا زمان الصّبا .. وأنت صديق أثقلته الهموم ... والآلام
كيف أسلمتنا لعهد مشيب فيه تشقى أحلامنا ، ونُسَام
فاجتوتنا طفولة ... ورضاع واحتوتنا : كهولة ، وفطام
وتولّت طلاقة أنت موحيـ ـها وحلّت كآبة ... وسآم
إن شكونا إليك منه أذاه فالذي نشتكي إليك : غلام
يا زمان الصّبا .. عَدَتْكَ العوادي ومن الدّهر جانبتك السّهام
أنت مثل الرّبيع ، يمضي سريعا وهو في حُسْبَةِ اللّبيب العام
أن تولّى الصّبا ... فكلّ بديل هو ـ عندي ـ عُلاَلَةٌ ، وكلام

* * * *

يا زمان الصّبا .. وأنت صباح تتجلّى في أفقه الأحلام
بك سرنا على رؤوس اللّيالي تتهادى بركبنا الأعلام
بخمار الشّباب نسعى نَشاوَى فتميد الرّؤوس .. والأقدام
فكأنّا قد امتلكنا اللّيالي ولنا العهد عندها والذّمام

* * * *

وصحونا . وقبلُ كنّا نياما خدّرتنا الأحلام والأوهام
فإذا كلّ ما جمعنا : شَتَات وإذا كلّ ما بنينا : رُكام
لا نَدامى .. ولا بساط نَدامى لا لُحُونٌ تُشجي ، ولا أنغام
والرّياحين ، والزّهور نِثَارٌ والأباريق ، والكؤوس حطام
وتبقّى لنا ... وقد مرّت الأيّـ ـام وثبًا ، كأنّها أفلام ...
لوعة في نفوسنا ... ليس تخبو وظَمَا في حلوقنا .. وأُوَام
ورضينا بحكمه وجلسنا فكأنا بدفترٍ أرقام
نتسلّى بقصّة ... أو كتاب وتناجي جراحنا الآلام

* * * *

يا شباب البلاد ، أنتم بديل عن صبانا ، تكنّه الأعوام
نستعيد الشّباب فيكم ، فأنتم عِوَضُ أنصفت به الأيّام
قد لمحنا فيكم وجوه الأماني فمحيّانا منوّر ... بسّام
وعقدنا عليكم الأمل الحلـ ـو ، وأنتم لعقدنا ... إحكام

نتوخّى بكم بلوغ الأماني والأمـانيّ : نهزة .. واغتنام
إن تولّى الطّموح قلبا ذكيا سهل الصّعب ، واستجاب المرام

* * * *

سنراكم ـ غدا ـ غصونا رطابا في ذراهـا تـفـتّحت آكمام
منكم الشّاعر الذي يبهج السّمـ ـع بشدوٍ كـأنّه الأنغام
والأديب الذي يهشّ له الحر ف ... وتصبو الأوراق ، والأقلام
ومدِلّ بريشة ، من حواشيـ ـها ينثُّ الإبداعُ .. والإلهام
وأخو الآلة التي يبْطلُ السّحـ ـرُ ، إذا عربدت ، وتخبو المدام
هكذا أنتمو ـ غدا ـ لبلادي أمـل واعد ... وغيث رُهام
وليعد مهرجانكم كلّ عام تتهـادى بـركـبـه الأيّـام

صاحبي

لي صاحب حلوُ الشمائل عازفٌ عن كل عيب بالرِّجال يشينُ
أضفَى عليه الله من آلائه نعما يجلّ أقلّها ... ويبين
من ذاك معرفة تُحيل له الدجَى صبحا ، وعقل راجحٌ موزونُ
من كان يملك صاحبا في وزنه فلديه كنز لا يُنال ثمين

* * * *

قد قال لي يوما ، وألبسَ جَدَّه هزلَ المازح ... والحديث شجون :
إني لأعجب منك .. أنت محيِّر وأنا بكلّ محيِّر مفتون
فلأنت كالطِّلَّسْمِ لغزٌ غامض مفتاحه في سَبْسَبٍ مدفون
حاولت فهمك ... غير أن نباهتي كلَّت .. وكَلَّ الظنّ والتخمين

* * * *

مالي أراك على المدى متجّهما   إن التجهّم بالرجال يشين
متأملا ـ أبدا ـ بلا شكوى كمن   غُرست بصفحة قلبه سكين
تَطوي على سرّ ضلوعَك صامتا   هلّا عن السّر الخطير تُبين؟

* * * *

فيما علمت ... بأن عيشك ناعم   وبأن دَربك في الحياة أمين
لا تشتكي سقما ... وبيتك عامر   والناس حولك صاحب وخدين
فعلام لا تلقَى حياتك مشرقا   ولم التجَهُّمُ منك ... والتغضين؟
تقضي نهارك ساكنا متأملا   أهي الحياة ... تأمل وسكون؟
متوقعا أمرا يكون على المدى   أبدا ... وما أمر هناك يحين
متخوفا .. في الليل من شبح سرى   والصبح ـ عندك ـ ظلمة ودُجون
ترتاب في أذن تُصيخ ومقلة   ترنو ... فأنت المتعَب المسكين ..
ترقب المجهول ... وهو مغيَّب   ويريبك المحجوب ... وهو ظنون
ما لا يريد الله ليس بكائن   أبدا .. وما يقضيه سوف يكون
فاصرف فؤادك عن هواجس وهمِهِ   ما تتقيه ... بوقته مرهون
واغنم بَشَاشَاتِ الحياة ولا تكن   متشائما .. إن التشاؤم هون
عش يا صديقي اليوم غير مروَّع   واترك غدا ... فحديثه تخمين

* * * *

فأجبته ... حُيِّيتَ من متفلسف   زادُ الجهولِ ... المنطقُ المدهون

إن التأمل كالصلاة عبادة / والصمت ـ في بعض المواقف ـ دين

يأتي على الإنسان من أوقاته / حين يُسرّ به ... ويذهب حين

ويضيق بالدنيا .. وما ضاقت به / ويظل ... وهو البائس المغبون

يشقَى ولا من موجب لشقائه / ويئن .. لكن لا يكاد يُبين

متبرم من كل شيء حوله / متألم مما عليه يَرين

متأمل في كل شيء ناظر / لكنه ـ بشعوره ـ محزون

متواجد ... لكنه مثل الذي / (سَطَّلَتْهُ) بنت الكرم والأفيون

وبصدره ... مما ألم بنفسه / ـ وهمًا ـ من الهم الثقيل أتون

* * * *

فيمرّ بالروض الأنيق فلم يُثِر / من نفسه التشكيلُ ... والتلوين

لا الورد مضطرم الخدود يثيره / عطرا ... وليس يهزّه النسرين

والفل يضحك حوله متألقا / لكنه ـ في مقلتيه حزين

والطير فوق غصونه بجماله / وبكل ما هو حوله مفتون

متنقلا بين الغصون كأنه / ـ مما به من نشوة ـ مجنون

لكنّ صاحبنا كسالف عهده / فكأنما هو صخرة أو طين

فيحنِّط الآمال ... وهي بواسم / ويجمِّد الأحلام ... وهي فتون

ويمر بالمتحركات جميعها / فإذا بها في مقلتيه سكون

* * * *

وتزول «حالته» فيرجع ضاحكا   وإذا بـه بجمالها مـفـتـون
وإذا على اليأس الرجاءُ مُظاهرٌ   وإذا على الشك اليقينُ مُعين
الناس حالات تلوح وتختفي   والدهر صحو مرّة ... ودُجون

مغالطـــة

أغالط فيك إحساسي وظَنِّي ... وأحتمل الإساءة ... والتجنّي

شكوْتُ إليك منك فلم تغثْني ... وثبْتُ إليْك منك فلمْ تُعنّي

وأسمع فيك عُذَّالي ولكن ... لغير العاذلينَ صَرَفْتُ أذنيَّ

تقول لهمْ ولي ـ أبدًا ـ حديثًا ... فأنت ـ لهم ولي ـ شغلٌ مُعَنِّي

تَروعُك لهفَتي فتزيد زهوًا ... بما أوتيتَ من دلٍّ وحَسَنِ

كأنّك لم تكنْ تدري بحالي ... وقلبُكَ لم يكن يخبرْكَ عنّي

بطبعك دائما يزدادُ جهْلي ... وأنت بمُهجَتي تثوي وجفْني

فقلْ لي ما الذي ترضاهُ عنّي ... وقلْ لي ما الذي تأباهُ منِّي؟

أغالبُ فيك أشجاني وشوْقي ... وأغزلُ من خيوط الوهْمِ لحني

ورغْم جفَاك لم ينْكرْكَ قلْبي ... ورَغمَ أذاك لم يَلْفظْكَ ذِهني

فأنت أحَبُّ من قلبي لقلْبي ... وأنتَ أعزُّ من عيني لِعيْني

ولكني أغالطُ فيك نفْسي ... وأحتَملُ الإساءَة والتَّجنِّي

لَحَتَّى كادَ فيك يشكُّ قلبي   وحتّى فيك كادَ يسوءُ ظنِّي
أنام إذا غفوت على التّرجّي   وأصْحُوا إنْ صحوت على التّمنّي
وأنت أردت ذا أم لم ترِدْهُ   ستبْقَى أنت أنتَ مدار فنّي

حبيبي الأسمر

حبيبَ العين يا أسمرْ ذَكَرْتُكَ دونَ أنْ تذكُرْ
وجئتُك زائرًا فرددْ تَ آمالي... ولمْ تشعُرْ
ومثلُك كم عزيزٍ صدّ بعدَ الوصْلِ... واستدبَرْ
فخلّيناه للأيّا مِ.. والأيّام لا تغفرْ
فَسلَّت منه عرقًا كا نَ في أوصاله «يسْطُر»
وكفكفتِ الجموحَ بهِ وفكَّتْ عَقْدَهُ الأعسَرْ
فلان... وكان فِرْعونًا طغَى في الحبِّ واستكبرْ

* * * *

وقالوا: حجَّ.. قلتُ المر ءُ، بعدَ الحجِّ، قد يكفُرْ
وقد تُغريه دنياهُ فيعصي الله، أو يسكرْ
وقد يتلوَّثُ الينبو عُ.. أو يتعلْقَمُ السّكّرْ

وقد يرخُصُ ما يغلُوا وقد يصغُرُ من يكبُرْ
ولكن الطّباعَ السّوء، بالإنسانِ تستأثر

* * * *

فمهلاً أيّها العاني فإنّي عنك لا أصْبِرْ
وسوف أراك فيمَا بعدُ ... يا : كافورُ ... يا عنبَر

نشـــال

لم ار كـالـنشَّـال في خفَّةٍ قد خصَّهُ الله بها في اليديْنْ

قد «لَطَش» السّاعة من معصمي بباب حانوتٍ أمامَ «الحُسَيْن»[1]

واختـلس المنظار من جبَّتي في مثل لحظ المرءِ بالمقلتيْنْ

ورَاود الخاتم في إصـبـعي فـطـار كالمسحور في لحظتينْ

وراح يـرْنـو لـليراع الذي في الجيب ، بادي الشّوق بادي الحنينْ

فطار من جيبي ، وعيني ترى وصَارَ كالمفقود في لَمح عينْ

فقلت : ما هذا؟.. فقال الذي خاطَبْتُهُ في لهجة الشّامِتينْ :

ما دُمْتَ في مِصْر ، فلا تأتمِن حتّى الذي سمّوه فيها «الأمين»

نشّالُهُم ، إنْ لم يجدْ سِلْعةً تصلُحْ أن يُعمِلَ فيها اليمين...

---

(1) هو مسجد الإمام الحسين بن علي رضي الله عنه بالقاهرة .

ولم يجدْ في المرء ما يستَى لَراوَد الكُحْل الذي في العيون
فجئهُموا عريانَ ـ إنْ جئتَهُمْ ـ واحْذرْ ـ إلى ذاكَ ـ على الخُصْيَتَيْنْ
جـمـيـلـة مصر... ولـكـنّـهـا بمثلهم صارت كمثل الأتون
لـولا الجميلاتُ اللّواتي بِها يفتنَّ بالـدّلِّ ، وسحر الجُفون
ومـا ينال المرءَ في أرضها من نفحات السّادَةِ الصّالحينْ
وأنّها أرخصُ أرضٍ... فإنْ تَجُعْ بها تُطْعِمْكَ بالدّرْهميْنْ
وأنّـهـا مثوًى لمنْ يلتمسْ هناءة البَال من المُفلسينْ
لَما هـبـطْـنـا أبدًا أرضـهَـا ولا أتينَاها ، ولَـوْ عـابرينْ
أحبُّـهـا رغْمَ الأُلى عكّرُوا فـيـهَـا مـياه النّيل للشّاربينْ

زهـــرة البنفـــسج

تضـــوَّعي ، تـــــأَرَّجي يـــا زهـــرة الـــنـفسج
فـــأنت راحـــة الـــعيو ن ، وابتهـــاج الـمُـــهَج
في لـونك الحـالم والسّـ ـكون ، والـــتـــأرّج
يخجل منك الـورد فَهْـ ـو دائم الـــــتّضرجُ
ويـطـرق الـقـرنْـفُـل الـ بـاهت ... إطراق الشّجِي
ويصمت النّرجس صمـ ـت الوالـــــه المتزعج
يرنو إليك نِظـرة الـ أبـلـه عـنـد الحـرج
فـيضـحك الـفـلّ بـثـغـ ـر نـاصـع مُـفـلَّج

* * * *

يـا زيـنـة الرّوض... ويـا لـطـيـفـةَ الـتّـوهُّج
حـديـثك الهامسُ كـم أذكَى الـلّـظَى في المهج
وعـطـرك الحالم كـم نـبّـه أحـلامَ شج
يـا حـلوةَ الـخَـطْرَة فو ق غصـنك المختـلـج
مـلـكت بـالـرِّقّـة والـ ـلطف... عليَّ منهجي
عندك سرُّ اللّيل يخـ ـفيه بطرفه السّجي
وهمسةُ الـنّـجوم في حـديثها الـمُـلَـجْلَج
وقُـبـلـةُ الـطّـلّ على خـدّ الصّـبـاح الأبـلج
ذكّـرْتِـنِي بما نسـيـ ـتُ عهدَهُ من حجَج
بحلوةٍ كـانت على عـهـد الصّـبا المنبلِج
تـفتن بـالـنّظـرة، والـ ـلـفـتـة... والـتّـغَـنُّج
مثلك في جمـالها الـ ـمُستَـتِـر الـتـبـرُّج
أو أنتِ كـنـتِ مـثـلَـهـا في ثوبها الـبـنـفسجي

لحـــن وقيـــد

أنتِ لحنٌ على فـمي وقـيودٌ بـمِـعْصَـمي
ولُـهـاث مُـغَـمْـغِـمٌ في مَدَى حلْقيَ الظّمي
وشـواظ مـعـربـد في كيـاني ، وفي دمي
جذوة الشّوق ، لم تزل تـتـلـظّى بـأعـظُـمي
كـلّما قـلتُ : أُخْـمِـدَتْ أسرفتْ في الـتّضـرُّم
فهي في القلب والحَشَى وهي في الكفّ والفم
كـلّ لـيـل ، و إن دجا ـ فيه أشـعاع أنجُم
غَـير لـيلى فـنـجـمه جـذوة من جـهـنّـم

أنت سعّـرت نـارهـا فـاحـلمي الآن وانعمي
قـلـبُكِ الصّـلـدُ ظـالم مسرف في الـتّـحـكّـم
فـاتّقي الله مـرّة في حـبـيـب متـيّـم
ضـمّـدي جرح قـلبه بحنـان ، ولَـمْـلِـمي

وامسحي الشّوق باللّقا والأسَى بـالتّبسّم

وبإشراقة الرّضا والحديث المنغَّم

ليس إلّا . في فشوقه فيكِ ، فوق التّكتّم

جرِّبي البِشْر مرّة وارجعي للتّجهّم

كبريـــــاء

ألم أكُ أيقظت فيكِ السّباتا وأحييتُ في جانبيكِ الحياتا ؟
وأنعشت منكِ شعورا ذَوَى ، فأورق ، كالغيث يحيي المواتا
تلَفّتُ منكِ إلى ما مضَى وقلت لنفسي : الذي فاتا فاتا
فكـلّفـتِني شططا في الهوى وأوسعـتِني كـذبـا وافـتـيـاتـا
وحاولتُ جمعك بعد الشّتات فزدت ـ بهذا الغرور ـ الشّتاتا
وأبـدلـتِني من رجـاء قنوطا وجـازيـتِني عـن وفـاء فـواتا
وحـاولتُ أصلـح ما بـيننا فـألـفيتُ قلبكِ صلدا مواتا

* * * *

ولكنّني لست سهل المِرَاسِ ولا أرتجي من نوالٍ فُتَاتَا
فلي كبريـــائي ، ولي عـــزّة تـردّ الجناة ، وتُصمي البُغَاتا
فـمَـنْ عـقّني بـعـد إصـفـائه وإيلائه الحبَّ عذبا فراتا ...

قطعتُ الذي بيننا حازما   وصيّرتُه في فلاة حصاتا

وأجعلُه دُبْرَ أُذْنِي ، فلا   أصيخ إلى صوته حين صاتا

وأجعله خلف عيني ، فلا   أعير التّلفّتَ منه التفاتا

نعم ... إنّ قلبي يحب الجمال   ويهوى الحسان ... فتاة ، فتاتا

وإن كان كُلِّف منكِ المحال   وجاهد في الحبّ حتّى استماتا ...

فخِلْتِ اقترابي إليك الهوانَ   وخِلْتِ التّباعدَ عنّي انفلاتا

ظننتكِ يا حلوتي جنّة   فألفيتُ قلبكِ جدبا ، فلاتا

سامحيــــني

سامحيني على غبائي ، لأنّي ما توقّعت كلّ هذا الذّكاء
سامحيني ، فما تـوقّــعت إلاّ أن تكوني كمثل كلّ النّساء
ما توقّعت أن يشعشع نجم من دراريك في دجون سمائي
مـا توقّعت مرّة أن تمدّي ـ في خضمّ القنوط ـ كفّ الرّجاء
ما توقّعت ـ مرة ـ أن تكوني واحـة تستـقـرّ في صـحرائي
أو تكوني ـ على مناعة قلبي ـ رَعشة الكهرباء في أعضائي

* * * *

كـنت قـدّيسـة الجمال أراهـا فـوق كـلّ الـظّنون والأهواء
كبريـاء الجمال أجمل عندي مـن جمال الجمال بـالإغـراء

* * * *

سامحيني ، فما معي ثمن الور د ، فـأسعَـى إليك للإهداء
ما معي يا عزيزتي غير قلبي وهو أغلَى من سائر الأشياء

تشرين وكانون

إذا ودّع تشرينٌ وتشرينٌ ، وكانونُ
فقل : لا عاد كانونٌ ولا أقبل تشرينُ

وإن هلّل في الأصقا ع بالفرحة آذارُ
وإن صفّق بالبهجـ ـة حول الدّار أيّارُ

لهذا تضحك الدّنيا وتفترّ البساتينُ
وهذا منه للآفا ق تذهيب وتلوينُ

فقل : مرحَى هنا الدّنيا أغاريد وأشعارُ
وهذا الكون في ثوب من الزِّينات خطّارُ

وهذا العيش ، لا عيشٌ تدعّمه الكوانينُ
فما في الجوّ زوبعة وما في الأفق تدجينُ

الحب المستعمر

الحبُّ استعمَرَ أعماقِي زمنًا .. من عهدِ الإسكندرْ
وتجدّد عهدُ ولايتِهِ فيها .. أيّامَ المُسْتَنْصِرْ
وله فرمانٌ تُرْكيٌّ أمضاهُ السّلطانُ الأكبرْ
قد كان يُعسكرُ في قلبي زمنًا .. بِجيوش لا تُحْصَرْ
بيديهِ أزمّةُ أحوالِي ينهَى أحيانًا .. أو يَأْمُرْ
بالّليلِ له شأنٌ .. وَلَهُ شأنٌ بالصّبحِ ، إذَا أسْفَرْ
قد ذقتُ الويلَ بِسُلْطَتِهِ وشَرِبْتُ الحَنْظَلَ في الكَوْثَرْ
يَتَحَكّمُ باسْمِ ولايَتِهِ في هَذَا القلبِ .. ويَسْتَأثِرْ
فصبرتُ على حالِي زمنًا شأنُ المغلوبِ المُسْتَصْغَرْ
حتّى قد ضِقْتُ بِخُطَّتِهِ فَتَمرّدَ قلبِي المُسْتَعْمَرْ

* * * *

طهّرتُ قواعدَ أعمَاقِي من حُبِّ المحبوبِ الأسمرْ
وقطعتُ حِبَالَ مودّتِهِ وَفَسَخْتُ العقدَ المُسْتَثْمِرْ
وطردتُ سفيرَ محبّتِهِ ذاكَ المغرورَ المُسْتَأْثِرْ
وخَلَصْتُ من الحبِّ الطّاغي ومن المحبوبِ المستكْبِرْ
وأقمْتُ مَعَالِمَ أفراحِي في كلِّ قُرَى قلبِي الأخْضَرْ
ونَسِيتُ ، وكانَتْ مُشْكِلَتِي أنّي أَنْسَى .. ألاّ أذْكُرْ
فأقولُ ـ بلا وعي مِنِّي ـ إنْ راحَ عَلَى دربي يَخْطُرْ
سأحبُّكَ حُبًّا قَيْسِيًّا حبًّا كالماضِي ، أو أكثرْ
سأحبّكَ ، لالا لالا .. لا إنّي من ذنْبِكَ أستغفِرْ

* * * *

مزّقتُ رَسَائِلَكَ الزّرقا .. كسّرتُ القِنديلَ الأخْضَرْ
وضربتُ عَنِ الماضِي صَفْحًا وشطبتُ على ما في الدّفْتَرْ
وجمعتُ قُصَاصَاتِي مِزَقًا مِزَقًا .. في مَظْرُوفٍ أصْفَرْ
وكتبتُ على الجزءِ الأعْلَى «لِلْحِفْظِ» .. إلى يومِ المَحْشَرْ
وختمتُ على السرِّ المَطْوِيِّ هُنَالِك بالشّمعِ الأحْمَرْ
وحسِبْتُ .. نسيتُ ، ومُشكلتي أنّي أنْسَى .. ألاّ أذكُرْ
فأقولُ : أحبّك ، لا لا لا .. من ذنبك إنّي أستغفرْ
سأحبّكَ .. حبا قَيْسِيًّا حبًّا كالماضِي .. أو أكثرْ

* * * *

علّقت على طرقاتِ القلـ ـب .. إشاراتِ الضّوءِ الأحْمَرْ
وكـتـبتُ بخطٍّ كوفِيٍّ وبكلّ شوَارِعِه .. أسْطُرْ
ممنوعٌ جـدًّا .. ممنوعٌ أنْ يدخلَ محبوبِي الأسْمَرْ
مَحْظُورٌ حتّى أن يَبْدُو في سَاحَاتي ، أو أن يَظْهَرْ
فَوَجَدْتُكَ ، من خلفِ الممنو ع .. وخلفَ الحَرْفِ المُسْتَكْبِرْ
قـد لحتَ بوجهٍ طِفْلِيٍّ يَتَحَدَّى ممنوعَ القَيْصَرْ
قدْ قُلْتُ نسيتُ ، ولكنّي أَنْسَى إلاَّ أَنّي أذْكُرْ
سأحبّكِ ، حبًّا قَيْسِيًّا حبًّا كالماضِي ، أو أكْثَرْ
سأحبُّك .. لالالا .. لالا إنّي من ذَنْبِكَ أسْتَغْفِرْ

* * * *

أبْحَرْتُ .. ولم يُبْحِرْ شوقٌ كَالمَوْجِ ، بأعْمَاقِي يَهْدِرْ
وَرَحَلْتُ .. ولم تَرْحَلْ صُوَرٌ مازال بِهَا أُفْقِي يَزْخَرْ
وَنَسِيتُ .. ولكنْ نِسْيَانِي نَجْمٌ .. أنّى يَأْفَلْ يَظْهَرْ
حَاوَلْتُ .. ولكنْ ، لَمْ أقْدِر وَشَرِبْتُ .. ولكنْ ، لَمْ أسْكَرْ
وَغَفَوْتُ .. فكانَتْ أحلامِي بكَ وحْدَكَ ، يَا حُلُمِي الأكْبَرْ
قد قلتُ : نسيتُ .. ولكنّي أنْسَى إلاّ أنّي أذْكُرْ
سأحِبُّكَ .. حُبًّا قيسيًّا حبًّا كالماضِي .. أوْ أكثرْ
سأحبّك .. لالالا ... لالا إنّي من ذَنْبِكَ أستغفِرْ

تـــاجر...

تاجر أنت يا صديقي.. وإنّي منذ أن كنتُ أرهبُ التّجارا
لا أحبّ الفتَى يتيّمه القر ش... فيوليه حبّه إكبارا
إن بدت صفقة له باع فيها - كيفما كان - رشدَه والوقارا
وإذا لاح وجه قرش وراء الـ ـبحر.. في إثره يخوض البحارا

* * * *

يحبس المال في خزائنه حبـ ـسا، فما يستطيع منه فرارا
همّه أن يضمّ قرشا إلى قر ش، ويجبي الدّينار... فالدّينارا
لم يمتّع بوقته.. أو صباه أو ينم، إذ ينام إلاّ غرارا
وإذا يرفع الأنام شعارا رفع القرش في الحياة شعارا

* * * *

«لا يرى في الوجود شيئا جميلا» يشتهي أن يراه ، إلاّ النّضارا
يتمنّى النّجوم حبّات درّ يقتنيها ... قلادة أو سورا
وإذا يُقبل الرّبيع تمنّى أن يبيع الورود والأزهارا
وإذا شاهد العناقيد في الكر م ... تمنّى لو شارك الخمّارا
أن يبيع النّسيم للنّاس في الصّيـ ـف ، وفي البرد أن يبيع النّارا

* * * *

وإذا الغادة الجميلة سارت يملأ الدَّرب حسنُها أنوارا
قال : لو أنّها بكفّيَ تمثا ل ، لساوى في بيعه مليارا
فلديه الجمال في سائر الأشـ ـياء .. لم يعدُ مكسبا واتّجارا
ولو اسطاع أن يبيع خيوط الشـ ـمس للناس ، باعها أشبارا

* * * *

وأحبّ الفتَى يرى العيش في الدنـ ـيا نوالا ، ويؤثر الإيثارا
ويرى المالَ ، إن تأتّى له الما ل ، سبيلا إلى العلا ، لا ادّخارا
ويراه محبّة تسع النّا س ، ونجما ينير درب الحيارى
إنّ من لا يرى الحياة عطاء كان عبئا على الحياة وعارا

عنـــف

مستوحاة من مصارعة الثيران ... الرياضة الإسبانية المعروفة

غصّت السـاحـة بـالمستعرضينْ عشرات مِن ألوف الوافدينْ
سئموا الجدّ ... فجاءوا كلهم يتـلـهّـون ، بـألـعاب ... فنونْ
يتسلّون بها ... إذْ تـعـبـوا مـن رتـابات حياة الفارغينْ
ملأوا السـاحة .. في أعينهم نـظـرات الهازلين الـعـابـثيـنْ
بـرؤوس ، لـيس في آفـاقـها غير مرآى ذلك «الخصم» المبينْ

* * * *

أطـلقوا المسكين من محبسه فمشَى متئدا ، مشْي الرزينْ

سار ، لم يضمر عداء ، لم يثر لم يجل في « ذهنه » طيف المنونْ
آثــر السّــلم ، فـجـرّوه إلى نزق الطيش ، وطيش النازقينْ
لم يكن يدري ، ولمّا يحتسب أنه « خصم » الألوف الناظرينْ

* * * *

وانــبرى سائســـه ، ممتشــقـا رمحه ، مـــدّرعــا بــالخرقـتين
وتحدّاه ، فــلم يــأبــه بــه فتمادى ... مـرّة .. أو مرتين
طلب « الشـهرة » قد صيّره يـتـحـدى بين قـرنـيـه المنون

* * * *

عرف الألوان ... وارتاح لها غير هذا اللون ذي الصّبغ اللعين
فـإذا الـثـور : هـيـاج عـارم وإذا الـثـور : خوار وجنون
رفس الأرض بعنف غاضبا وقـد احـمـرّ سواد المقـلـتين
وجرى في شوطه ... مندفعا فيه عنف ، كتحدّي القادرين
وتــراءى ذيـلـه مـن خـلـفـه كالزُّبَانَى ... أو كخُطّاف السفين

* * * *

كــلـما داهمه ... مــدّ لــه خِرَقَ الوهم ... وأسدال الظنون
يـدّني منه ... وينأى كيّس لبق القفزة ... مطبوع اليدين
ويــداريــه بــعــيني أجـدل ثاقب النظرة ... عبل الساعدين
كــلـما آنس مــنـــه غــرّة شكّه بالسهم ، بين المنكبين

موهنا من أيْدِهِ ... يرهقه ليرى فيه فتور الخائرين
فإذا أثخنه ... عاوده مرّة أخرى ... بمِزراق سَنين

* * * *

من ، تُرى ، «أوحش» من صاحبه صاحب الثور ... أم الثور الطعين
والذي «أوحش» من هذا وذا حَلَبَات «البُكْسِ» ... والمصطرعين
قُتل العنفُ ... ومَنْ مارسه منهج العنف سبيل المجرمين

* * * *

سقط الثور ، جريحا نازفا فاتر الهمّة ... مثقوب الوتين
ومشَى صاحبه ـ في زهوه ـ ثابت الخطوة ... مرفوع الجبين
«بَطَلاً» تهفو إلى طلعته من محبيه قلوب .... وعيون
نشوة «النّصر» أدارت رأسه وهتاف الهاتفين المعجبين
عالَم المجد ... وآفاق العلا ربما أدّى إليهن «الجنون»
هكذا يا صاحبي ـ في عصرنا ـ يتسلّى المترفون التافهون

أُمُومَـــة

بَـــرَاءَتُـــهُ .. وهـــذا الـــبشـــــرُ في العينين .. والثّغرِ ..
ووجـــهٌ في عـــذوبـتـــه تـــذوبُ كـآبـة الـعـمـرِ
وبســمـتُــهُ على شفـتـيـــن .. مثلِ مراشفِ الزّهرِ
تُــحَوِّم حولــه عــيـنــا ن .. طافحتان بالبشرِ
تــكـــاد تضمّــه الأهــدا بُ .. بين الشّفرِ، والشّفرِ

* * * *

ورفّتْ حولَ مـهـدِ الحـــبِّ .. ثمَّةَ رفّة القُمْرِي
تُــمسِّــحُــه .. وتَــغْـمُـرُهُ بـكـلٍّ حـنـانِـهـا الفطري
ونشوةُ مــا تحسّ بـــه بــكـلٍّ كـيـانِـهَـا تَسْري

* * * *

رَأَتْـهُ ، فسـرّهـا ، فـهوت وضـمّـتـه إلى الصّـدر
وأرخت فوقـه منهـا جـدائـلَ ذلك الشّـعـر
وراحت تـزرع الـقُـبُلا تِ في الخدّين .. والنّحر

* * * *

تهدهـده ، بـأحـلى من غـنـاء الـطّـيـرِ لـلـطّير
وتُسْـمِـعُـه حـديثَ الـقـلـ ـب .. في نَغَمٍ من الشّعر
فَعَـيْـنَـا طِـفْـلِـهَـا ، دنـيا سعـادةِ قـلـبِـهـا الـبِـكْـر
هما لُـغَـةٌ تحسّ بها ، وتـفـهـمـهـا ، ولا تـدري

* * * *

وَأَغْفَى ـ في أمانِ اللـه .. بين النّحرِ .. والسَّحْر
ومـدّ لها الـرّجـاءُ الحلـ ـو في آمـالها الـخُضْـر
فراحت ـ وهي ساكنة ـ على أحلامِـهـا تسري
تحدّث نـفسـهـا نَشْوَى بما في ظـنّـهـا يجري
تـقـول ـ قريرةً جَذْلَى ـ بهذا الـكـنـزِ .. والـذّخـر :
ومن مثلي ؟.. أرى الدّنيا ومـا فيهـا ، على حـجري

* * * *

تلاشَى عندهـا ما الـفـر قُ ، بين الـعـامِ .. والـدّهر

وخـــطٌّ بـــاهتٌ يـــنســـا   ب فوق جـبـينهـا المغـري
وتحت الـمِـحْجَرَيْنِ ، رأتْ   كَـنَضْحِ الـقُـطْنِ بـالحبر
وفـوق نَضَـــــــارة الخدّيـ   ـن مـثـلَ نُـفَـاضَـةِ التّبر
شحـوبـــا ، ربّما بشـــبـــا   بها .. وجمالهـــا .. يـــزري
فـلم تُبْهَتْ .. ولم تُجْفِلْ   ولم تُؤْخَـذْ من الـذعـر
ولـكـن غَمْغَمَتْ .. كـالشّدْ   وِ .. بين السرّ ، والجهر ...
لــــه مـــاذا إذن قــدّمـ   ـتُ ، إن أنا لم أهبْ عمري ؟
فـداهُ صِبَايَ .. إنّ صبا   ي ، زيتُ شبـابـه الـنّضر
وعـــادت تـــزرع الـقُـبُلا   ت .. فوق الخدّ والـنّحر
وضــمّـتــه ... وضــمّـتـه ...   وضــمّـتــه ... إلى الصّــدر

تردّدت مع مريضة لنا على إحدى مصحّاتنا التي تعمل بها طبيبة ألمانية شابّة حسناء رقيقة . وكنت كلّما جلست إليها صحبة المريضة ، تملّيت حسنها ، وشدّتني ابتسامتها المشرقة ، ولثغتها الحلوة ، وإيماءتها اللّطيفة ، ورقّتها البالغة . كنت أستمع إليها ، وأقارن بين ما أرى ... وما سمعته عن قومها الألمان من خشونة وغلظة ... فكانت هذه القصيدة :

ميونيخ / برلين

إلى «مِيُونِيخَ» أم «بِرْلِينَ» ينتسبُ — هذا الجمال ، وهذا اللّطف والأدبُ ؟

وجهٌ بريءٌ طفوليٌّ تذوب على — إشراق غرّته الآلام والتّعب

وفوقه لَمْلَمَتْ أشتات جُمّتها — قِمعًا ... برونقه لم يظفر الذّهب

ومقلةٌ ... خُضرة الياقوت خُضرتُها — من حولها كإطار العسجد الهُدُب

«شرقية» هي ... أم «غربيّة» ، فأنا — للحسن مهما يكن أهفو وأنجذب

هويّة الحسن عندي ، في أصالته — فما تَهُمُّنِيَ الأنساب والحسب

لا شأن لي بحكايات تروّجها — سياسة العصر.. منها الصّدق والكذب

يا لفظةً تُسكر الأرواحَ رقّتُها ... هذا حديثُكِ ... أم ما سَلْسَلَ العِنَب ؟
رقيقةٌ أنت كالأنسام صافيةٌ ... كقطرة الطلّ ... لم يَعلَق بها وَشَب
حسبي وحسبك .. أنّي شاعر غزِلٌ ... وأنّ حسنَكِ للألباب يختلب
النّاس كالنّاس ... لا تفريق بينهمو ... إلاّ بمقدار ما أوتوا ، وما وُهِبوا
والنّاس أخلاقهم مقياسُ قَدْرِهِمُو ... لا الأصلُ والفصلُ والألقاب والرّتب
والعقل أجمل موهوب .. وصاحبُه ... مازال منه لأهل الفضل ينتسَب

* * * *

رأيت فيكِ سِمَاتٍ ، كنت أجهلها ... في مَن إليهمْ نَمَاكِ الفرعُ والنّسب
كنّا نظنّهموا ـ والظّن مَنْقَصَة ـ ... مثلَ التّتَارِ ... فلا رِفْقٌ ، ولا حَدَب
تعلّموا .. أنّهم أرقَى بِطِينَتِهم ... مداركا من عباد الله « فانكلبوا »
وأنّهم عنصر .. كانت أوائله .. ... إلى الكواكب ... والأقمار تنتسب
زعم ... قد اعتقدوه ، والغرور إذا ... مشَى برأسٍ ... تساوى الرّأسُ والذّنَب
تعلّموا .. أنّهم لا يغلبون .. وإنْ ... يحاربوا الجنّ في أقطارها ، غَلَبوا
قد أزعجوا النّاس حينا من زمانِهِمُو ... بما أغاروا على الأقطار ... واستلبوا
من كلّ جلف إلى « المعقوف » نسبته ... ذاك الذي إن بدا ، تسّاقط الشّهب
حلم السّيادة لم يفتأ يراودهم ... وعندهم لدواعي حُلْمهم ... سبب
حتّى أصيبوا بجبّارين قد فتلوا ... لهم حبالا على أمْرَاسِهَا صُلِبوا
والعلم ما لم يهذّب نفس صاحبه ... فَهْوَ الخرابُ لتلك النّفس والعَطَب
والظّلم يا حلوتي الحسناء مرتعه ... وَخْمٌ ... رَدِيءٌ ... بهذا قالت العرب

* * * *

لا تجزَعي .. أنتِ من قوم غطارفةٍ — وإنْ هُمُو دون إدراك المُنَى حُجِبوا

مازال في مسمع الأيّام ذِكْرُهُمُو — وفي فؤاد اللّيالي منهمو رَهَب

وما يزالون ـ حتّى بعد فرقتهم ـ — يخشاهم القوم... إنْ هَمُّوا، وإنْ غَضِبوا

لمّا رأيناك ، صحّحنا روايتنا — عنهم ، وبان لدينا الصّدق والكذب

فإن همو حاولوا مجدا لأمّتهم — وانْبَتَّ من دون تلك الغاية السَّبَب

فنحن في غابة ، من لم يكن أسدا — فيها... يكنْ في خِشَاش الأرض يُحتسب

قُمْرِيَّـــةُ الجبـل

في المهرجان الموسيقيّ المدرسي 1978 م شدّت أسماع السّامعين فتاة من مدرسة البيضاء بأدائها الجميل وصوتها السّاحر.. واستحوذت بمواهبها على الأسماع والقلوب ، فقال فيها :

أقُـمْـرِيَّـةَ الجبـل الأخضـرِ   تَـغَـنَّـيْ على عـودك المزهـرِ
هـتـفتِ فـأنـعشتِ أسماعـنا   بمنـطـقك السّـاحـر المسكـر
وأشجيتِ كـلّ فتًى شاعـرٍ   بشـدوٍ على السّمع كالسّكّر
فـجاشت إلى النّغم المسترقّ   نفوس سوى الحسن لم تبصر
تحبّ الجمال ، وتصـبو لـه   وتهواه ، في الصّوت ، والمنظر

* * * *

سئمنا السّماع إلى الصّائحين   من المدّعي الفنّ ، والمفتري

فـــغيركِ ، جـــرّح أسماعــنـــا بما كــان من صوته المنكَر
فشكرًا ، فأنتِ غسلت القلوب بهذا الأداء الـرّقـيق الثري
أعــدتِ إلــيـنـا بـه ذوقـنـا وكـدنـا نضيع ولم نشعـر
وذكّـرتـنــا بـعـهـود الصِّـبــا فـهـمـنـا على لحنك الأخضر

* * * *

بــأنـــدلســيـــاتك الــرائـعـات أسرتِ الذي قبلُ لم يؤسر
فمَنْ أنتِ ؟ « سَلاَّمَةُ » العصرِ ، أم « دَنَانِيرُ » في عهدها الأزهر
فـهـذا هو الفنّ يا سامعًا فعُبَّ الحنانَ من الـكـوثـر
وهذا هو الفنّ فاغسل به رُكـاما ، على سمعك المُوقَر
وبـــادر بشـــكـرك قُـمْـرِيَّـةً تـغـنّـت على « عودها » المزهر

مطـــــرب

مع الاعتذار للفنانين الأصلاء

ومـطـربٍ مـنـغِّصٍ مُـعَـنٍّ بمثله يُخنق صوت الفنّ
لم ينج من صراخه والطَّنِّ إلا أخو الوقر كبير السنّ
فـيـالـه من مزعج مُفْتَـنِّ ويـا لـه من مُبْدِئٍ مُثَنِّ
أهـاج أسبـاب الشـجون مـنّي

سوط عذاب ، وعزيف جني سلّـطـه الـتـلفاز للـتجنّي
بـالصوت والصورة والتثنّي مَنْ شَامَهُ يقرع حدّ السنّ
يقول : ذا يندب أم يغنّي ؟ فصوتـه كـزعـقـة الـمُـرِنّ
ووجهه أصفق من مِجَنّ وعـقـلـه كصـفـحـةِ المسنّ
سماعُ مـثـلِـهِ من التجنّي إن قال : يا ليلُ أسأتُ ظني
أو قال : آهٍ قلت عنّي ، عنّي تكاد أن تخرج روحي مني

* * * *

لـو تُـدرَك الـغـايـاتُ بـالتمني　　أو ينقضي شيءٌ بغير مَنٍّ
قـلت : اربـطـوا لسانه بقُنٍّ　　كـي لا يـعـود مـرّةً يغني
ويفسـد الأذواق باسـم الفـن

الرّسالــة الثّالثــة

بعد انقطاع فترة طويلة تذكّرها ، فبعث إليها رسالة على صندوق بريدها الذي يعرفه ، وبعد انتظار شهرين ، عادت إليه رسالته مكتوبًا على ظرفها « غير معروف » .

أيـا رسالـة أشواقي وآمـالي   أشقيتني... بينما أسعدت عذّالي

إليَّ عدتِ... وقد طوّفتِ لاهثةً   شهرين... ما بين إرساء وتَرحال

رجعتِ... لا أنت قد حقّقت أمنية   أصبو إليها.. ولا بلّغت أقوالي

فما احتوتكِ يداها – وهي مشرقة –   ولا سعدتِ بلثم المخمل الغَالي

ولا استرحت على أطراف راحتها   قريرةً... بعد تَطواف ، وتَجوال

ولم تمرّ على حرف بمقلتها   تستوضح الحرف عن شوقي وأحوالي

ولا تطرّق همس منكِ في أُذُنٍ   يا طالما استمعتْ نَشْوَى لموّالي

* * * *

اجمـــاع

وخرجتِ من البحرِ الساجي كـالوردةِ تـنضح بـالـطـلِّ
ودعـاك الشـــاطـىء مبتهجا أن تستـلقي فـوق الـرمـل
قـدماك : هنـا قدم وهنـا قـدم مـلّت قـيـدَ النعل
ويـداك هنـا وهنا ... وهنا خُصُلاَتُ الشـعـرِ المبـتـلّ
وعـــيونُ الـنــاس موزّعـــةٌ مـا بين الـربوة والسـهـل
وتحوم على خلجان الحســ ــن تحوم ... كأسرابِ النحل

* * * *

وأراك كـــأنك تـــلـــتــذيـ ــن بهذا الإجماع الـكـلّي
وتُرَيْنَ - كأنّك لست هنا ... وكـــأنّك عنهـم في شغـل
أنا لست وحيدا في أمري فـالكـلّ هنـا كـانوا مثلي

مــاذا تجنين إذا فــتــنوا بـالحسن الـرابض في الـرمل
سَادِيَّةُ طبعِكِ... أم جهلٌ بالقـتـلِ... وأسبـابِ القـتـل
عـن قصـد مـا تبدين لنا أم كان فعالك عن جهل
عيـناك... وهل تدرين بما جنت العينان... على عقلي ؟

قُرطها

أغارُ من قُرطِكِ الطّويلِ على شفا خدِّكِ الأسيلِ
معلَّق مثلُهُ فؤادي بجيدك النّاصعِ الصّقيل
يروحُ .. في خفّةٍ ، ويأتي بشكلِهِ الفاتنِ الطّفولي
منعَّمٌ ، هانىءٌ ، سعيدٌ بذلك المَرْبَإِ الظّليلِ
كأنّه طائرٌ صغيرٌ ثَوى على عودِكِ النّحيل
أو أنّه كوكبٌ مُضِيءٌ على دُجَى شعرِكِ الأثيل
يَعُبُّ من عِطْرِهِ فيغدُو كشاربٍ عَبَّ من شَمُولِ
إخَالُهُ يَلْهَثُ اشتياقًا لثغرِكِ الفاتِنِ الكَسُولِ
وربّما قد أشارَ سِرًّا لِطَرْفِكِ الواسِعِ الكَحِيلِ

* * * *

بياضُهُ ، شَابَهُ اخضرارٌ كخُضْرَةِ الضّوءِ في الحقولِ

فيا رسول هوًى حمّلتُه شَجَني فلم يكن لتباريحي بحمّال
أفرغت فيكِ حديث القلب ملتهبا وقلتُ كلَّ الذي يجري على بالي
صوّرتُ شوقي ، وأحلامي ، وفلسفتي وحيرتي ، وتباريحي ، وبَلْبَالي
فلم تصلها أحاديثي .. ولو وصلت لبات غيرَ خَلِيٍّ قلبُها الخالي

* * * *

شهران .. كنتُ على الأشواق منتظرا ردّ الجواب .. فما حقّقتُ آمالي
لو كان غيرك مكتوبا بعثت به لجاءني بحديث الغائب الغالي

* * * *

ضللتِ عن ذلك الصّندوق .. وا أسفي بئس الرّسولُ إلى الأحباب مِرْسَالِي
هلاّ تنسّمتِ من أنسامها أرَجًا ؟ ففي روائحها ، هَدْيٌ لِضُلاَّل
وكيف لم تعرفي عنوان منزلها ؟ وهو المُطِلُّ على دَرب الهوى الحالي
ما في المدينة دار مثله أَلَقًا على تكاثر أمثالٍ ، وأشكال
وليس فيها – على أنّ الحِسَانَ بها كُثْرٌ – كصاحبة «النّونين» والخال

* * * *

حسبي بأنّ فؤادي حول دَارَتِهَا محلّقٌ فوق ذاك المَرْبَإِ العالي
وأنّه عن مداها غير منصرف وأنّه عن هواها ليس بالسالي

وَوَمْضُـــهُ ، مُـــرْهِقٌ سَنَـــاهُ لِـطَـرْفِيَ المُتْعَبِ الكـليـل
وخِفَّـةُ الرّوحِ فيـه طبع يـنِـمُّ عن طبـعِكِ النّبيل
وصـورةُ الحسنِ فيـه كانت تـنّم عـن ذوقِكِ الجميـل

* * * *

يَـغِيـظُـنِي أنّني أراه بحيثُ قَصَّرْتُ في الوُصُولِ
كـأنّـه حـارس أمـينٌ لسمعكِ المُوقَرِ الثّقيـل
فـإن أقـلْ إنّني مَشُوقٌ يَصُـدّ قولي عن الدّخول
لذاك أرسلتُ طرفَ عيني إلـيكِ ، فـاستقبلي رسولي

* * * *

سَلِـمْتَ يـا قُـرْطَهَـا جمالاً لِـجيدِهَا الأتلع الطّويـل
وعِشتَ يـا جِـيدَهَا مجالاً لِـقـرطِـهَا الـنّـادِرِ الجميـلِ

حسنـــــاء

في أحد المؤتمرات الأدبية أُعجب أحدُهم بأديبةٍ جميلةٍ شابّة ، فداعبه أديبٌ آخر بقوله : يقال إنها « حمراء » . فأوحت عبارته .. بهذه القصيدة :

وصـفـوهـا بـأنّـهـا «حـمـراء» وبـأنّ الـفـؤادَ مـنـهَـا هـوَاءُ
وكذا الوردةُ الجميلةُ لا تُو صَـفُ إلاّ بـأنّـهـا حَـمْـرَاءُ
فهي للقلب ـ إنْ أردْتَ ـ رسولٌ وهـيَ لـلـعـيـنِ رَوْنَـقٌ وَبَهَاءُ
وهي ملءُ الأنوفِ عطرٌ شذيٌّ وهـي لـلـنّـفسِ مـتعةٌ وَرُوَاءُ
وَلَـدَى الـعاشِقِينَ لَفْظٌ مُبِينٌ لم يـوفَّـقْ لِـمِـثْـلِـهِ الـبُـلَـغَـاءُ
وهي فوقَ الغصونِ بَلَّلَهَا الطَّـــــلُّ .. وَنَمَّتْ عن سِرِّهَا الأشْذَاءُ
تَشْتَهِيهَا نُفُوسُنَا .. وهيَ أشْهَى إنْ جَلاَهَا على الخُدُودِ الحَيَاءُ

* * * *

رُبَّما تَـمْلأُ النّفـوسَ ارْتيَاحًا فُلَّةٌ فوقَ عُودِهَا .. بَيْضَاءُ
أو تُذِيبُ النّفوسَ عَطْفًا واشْفَا قًا عَلَيْهَا .. عَرَارَةٌ صَفرَاءُ
إنّما هـذِهِ سَفِيـرُ الصَّبَابَا تِ .. تَغَنَّتْ بحسنِهَا الشُّعَرَاءُ
كلُّ شيءٍ بِلَوْنِهَا يسلبُ الألـ ـبابَ حُبًّا ... إلاّ اللّظَى والدِّمَاءُ

* * * *

إنْ تَكُنْ آمَنَتْ بِمذْهَبِ «ماركس» واحْـتَوَتْـهَـا آراؤُهُ الـرّعْـنَـاءُ
فلماذا لَـمْ تـتّبعها ؟.. ومَاذا لـو أباحَتْ جَمَالَهَا «لَمْيَاءُ»
نَفَحَاتٌ للـنّاشقينَ ... وَرِيٌّ لِـظِـمَـاءٍ ... وللسَّقَام دَوَاءُ
هكذا فَلْتَكُنْ .. إذَا كَانَ حَقًّا زَعْمُهُمْ .. بَعْضُ مَا يُقَالُ ادّعَاءُ
أوْ يَكُنْ كُلُّ ما يُلَفَّقُ عَنْهَا حَسَدًا .. حيثُ إنَّهَا حَسْنَاءُ

قُبلــــة

وحــلـوةٍ ، قـومــهـا النّصارى بـلـطـفـهـا ، تأسر القـلـوبـا
صـبـيّـةٍ ، كـالزّهـور حسـنـا ومـثـلـهـا نضرة ... وطـيـبـا
ألــفتهـا ، وهـي ... آلــفـتني فـلم أكـن عـنـدهـا غـريـبـا
رأيتها ـ وهي ذات دين ـ تحاذر الموقف المريـــــبــا
ترى الهوى ، إن يكن وصالا ومطـمـعـا : مأثما ... وحـوبـا
إلاّ يكن : صحبة ... براء ورفـقـة : تسـعـد الحبـيـبـا

* * * *

خلـوت يوما بها ... وحيدا ولم يـكـن أمـرنا عـجيـبـا
وبـعـد أخذ ... وبعد رد وبســمــة ولّــدت قـطـوبـا
تبسّطت في الحديث ، حتّى ظـنـنت ما أمّلت قـريـبـا
أردت تـقـبيـلـهـا ... فحادت وأجـفـلـت ، تحذر الـرّقـيـبـا
فملت عن ثـغـرهـا قـلـيلا وبُسْتُ في جيـدهـا الصّليبا
فــهــل تــرى أنّني أثيم ؟ لأنني لم أكـنْ مصــيـبـا ؟

البحـــر

قالوا هو البحرُ تغرينا روائِحُهُ ... ويستبدُّ بنا مرأى ، وأنْسَامَا
جئناهُ .. والحرُّ تَشْوينا هَوَاجِرُهُ ... شيًّا .. ويُرْهِقُ أرواحًا وأجساما
لِلمَوْجِ فوقَ رمالِ الشَّطِّ هَمْهَمَةٌ ... لا تُسْتَبَانُ .. كما حدّثتَ تَمتَامَا
ما أبهَجَ الشّطَّ ، نُلْقِي فوقَ رملتِهِ ... مَـتَاعِبًا قد حملناهَا ، وآلامَا
وأمتَعَ البَحْرَ .. إذْ نرمي بأنفُسِنَا ... فِيهِ .. فَيَغْسِلِ أصداءً وأسقامَا
وأكْرَمَ البحرَ .. إذْ يوحي لزائِرِهِ ... ممّا يُزَخْرِف .. أحلامًا ، وأوْهَامَا
مِيَاهُهُ .. تَبْهَجُ الرّائِينَ زُرْقَتُهَا ... وَأُفقُهُ .. كَمْ هَمَى وَحيًا وإِلْهَامَا
وكم أعَارَ تَـهَاوِيلاً وأخْيِلَةً ... وكم أعانَ على التّصوير رسَّامَا
صحيفةٌ من كتابِ الكونِ نَقرؤُهَا ... فما نُلِمُّ سِوَى بالنّزْرِ إلْمَامَا
المَوْجُ فِيهَا سطورٌ غيرُ ثابِتَةٍ ... من يقرأُ السَّطْرَ رَجْرَاجًا وَلَطَّامَا ؟
لكنّنا في حَوَاشي الشّطّ نَسمَعُهُ ... يُغَنّي هُنَاك تَسَابِيحًا وأنْغَامَا
البحرُ ـ كالدّهرِ والسّلطان ـ ذُو غَرَرٍ ... وإنْ تَرَاءَى لبعضِ النّاسِ بَسَّامَا

فقلتُ : أنْصَحُ أصحابي .. أحذِّرُهُمْ   أنْ يتّقوهُ .. كما يَخْشَوْنَ ضِرْغَامَا

إنْ كَان لا بدّ من ماءٍ يبلّلكُمْ   « فَدَلْدِلُوا » فيه أطرافًا وأقداما

وشاهِدوهُ .. ولا تلقوا بأنفسِكُمْ   إلاّ بحيث يوارِي نصفَ مَنْ عاما

واستذكِرُوا ما رواه النّاسُ من زمنٍ   « لا تأمنِ البَحْرَ ، مَهْمَا كنتَ عوّاما »

البحـــــر

... إنّي أخاف البحر ، أرهب موجه
إنّي أخاف الغَوْص في أعماقِهِ

وأخاف ثورته ... ورغم تهيّبي
وتخوّفي .. قد صرت من عشّاقه

علّمتِني أنتِ ارتياد شطوطه
والعومَ ـ حين يروق ـ في رقراقه

فأنا أحبّ رماله ، ونسيمه
وتهامسَ الأمواج حول رواقه

وأحبّ زُرقته ... وأعشق شادنا
شاهدتها ـ من قبلُ ـ في أحداقه

وأحبّ روحا منه ... كنت وجدته
في ذلك المحبوب ، قبل فراقه

فإذا أزور البحر ، كان خياله
أبدا يلوح هناك بين رفاقه

* * * *

وأحبّ أسراب الطّيور تراقصت
مثل النّجوم الزُّهر في آفاقه

وأحبّ أسراب الظّباء سوانحا
في الشّطّ قد ضاعفن من إشراقه

يخطرن في حلل الشّباب روافلا   وَيَمِسْنَ في المُخْضَلِّ من أوراقه
الكاسياتِ العارياتِ ... حيَالَه   كم عاشق ، باشرن في اغراقه
يُذْكِين أشواق المحبّ تعمّدا   أبدا ، وما يُطْفِئْن من أشواقه
ويُذِقْنَ من جَهلِ الهوى من كأسه   جُرَعا ... تَلَذُّ لديه عند مذاقه
فاذا اشتكى ، قَصَّرْن عن إسعافه   وإذا انتشَى ، بَالَغْن في إرهاقه
سبحان من خلق الجمال مَصِيدَةً   للنّاظرين ... وجَلَّ مِنْ خَلاَّقِه
من كان مأسور الجمالِ وسحرِه   هيهات أنْ ينفكّ من أوْهَاقِه

الرّغيـــف *

كيف يستعبدُ الرّغيفُ الأنَامَا ويُـذلُّ الـرّقـابَ والأفْـهَـامَـا
شامِخًا .. يَسْتَرِقُّ كلَّ عَزِيزٍ وَيُسَوِّي لـكـلِّ رأسٍ زِمَامَا
لم يزلْ واضِعًا على كلّ قلبٍ ميسَمًا يُخْضِعُ الأبِيَّ الهُمَامَا
فَلَهُ قُدْرَةٌ تَحُطُّ العَمَاليـ ـقَ ... وَحَوْلٌ يُطَوِّلُ الأقْزامَا
كلُّ رأسٍ ـ وإنْ عَلَتْ ـ قَدْ يُسَوِّيـ ـهَا ـ إذَا مَا تَطَاوَلَتْ ـ والرَّغَامَا

* * * *

قد يُشيحُ الإنسانُ تيهًا وكِبْرًا إنْ يَـحُـزْهُ وَسِيلَةً وَمَـرَامَـا

---

* سمعنا في السنوات الأخيرة أن بعض الدول الغنية والكبيرة تلقي بالفائض من محصولاتها الزراعية في البحر وترفض تصديره إلى دول أخرى محتاجة إليه .. وذلك حتّى تظل متحكمة في مصيرها ـ وهذا أبشع أنواع الاستعمار ـ التجويع ـ

فإذا عــزَّ ، فالعَزيزُ ذَلِيـلٌ كـلُّ طغيانِهِ غَدَا أوْهَـامَا

عَرَفُوا سِرَّه ، فكَانَ سِلاَحًا لا يُبَارَى ، ومطْمَحًا لا يُسَامَى

جعلَ الله للوَرَى منهُ رِزْقًا حَسَنًا .. كان لِلْجُسُومِ قِوَامَا

فأصَـارَ الإنسَانُ منهُ قُيودًا لِـيَشُـدَّ الأكـفَّ والأقْـدَامَـا

وَخِطَامًا لِكـلِّ أنفٍ عَزيزٍ ذلّ مَنْ يَجْعَلُ الرّغيفَ خِطَامَا

وبِـهِ صَـيَّرَ الحَرَامَ حَلاَلاً وبـهِ صَيّر الحَلاَلَ حَرَامَـا

ربّ ... يا ربٍّ ، لا تَكِلْنَا إِلَى مَنْ يجعلُ الخُبْزَ لِلْعُقُولِ خِزَامَا

وأجِرْنَا مِمَّنْ برزْقِكَ يَطْغَى وأجِرْنَا أن نَعْبُدَ الأصنَامَا

الرّغيـــف

لم أُلْفِ غيرَك في الوجود معذّبا ... ملأ الـوجـود بـبـرّه إشراقـا
وجه من التّنّور، يخرج ضاحكا ... طَلْقًا ... فتعدل نحوه إشفاقا
حينا، يروقك منظرا ... ونسائما ... حرَّى ... وحينا، مطعما، ومذاقا
الله سخّره، لسائر خلقه ... رزقا ... فأصبح يغمر الآفاقا
فتبارك الله المهيمن، واهبا ... وتـبـاركت آلاؤه ... رَزَّاقـا
فتحكّمَ الإنسانُ فيه ... تجبّرا ... وأحـالـه أُنشوطة ... ووثـاقـا
وأصار منه لكلّ رأس مِقْوَدا ... وأصار منه القيدَ ... والأَوْهَاقَا
حتّى غدا نيل الرّغيف وحوزه ... في بعض أحوال العباد نفاقا
من يصطبرْ يومين عنه، فإنّه ... تـلـقـاه بعد ثلاثة مُشتـاقـا
هذا البريءُ الوجهِ، كيف تغلغلت ... أسراره ... فـتـمـلّك الأعماقا
جعلوه سيفا للتّحكّم مُصْلَتا ... حينا ... وبابا للوصول ... وطاقا
وتخيّروه إلى العقول وسيلة ... ولـنشر زائف مجدهم أبواقا

ما أكفر الإنسان ، سخّر حبّه وهواه ... حتّى استعبد الأعناقا
ويحَ الأنامِ ، إذا تحكّم فيهمو من لا يخاف الرّازق الخلاّقا

* * * *

سبحان من جعل المِعَى موصولةً بالقلب ، توسع جهده إرهاقا
وتميله حينا إلى أهوائها فيميل نحو مُرادها خفّاقا

* * * *

إنّ الكريم الحرّ تأبَى نفسه - كبرا - لصولة عزّه اطراقا
فلها بديل منه - إن هو سامها - في أن تشدّ على البطون نطاقا

النّحلة الحبيســة

في أحد مكاتب بلدية بنغازي ، وكنت في زيارة لصاحب المكتب ، شاهدت على زجاج النّافذة نحلة ملتصقة به ، تحاول مستميتة الخروج ، ولكن الزجاج يصدّها ، ولم تكلّ ، ولم تيأس ، إلى أن أنهكها الإعياء وسقطت صريعة إصرارها .. فأوحت لي بهذه القطعة ..

من خلال الزّجاج ، شاهدتِ النّو　　رَ .. وكانت محجوبةً في الظّلام
حبسوها ـ عفوا ـ .. فلّما سرى الضّو　　ء وئيدا ، إلى عيون النّيام ...
رفرفت بالجناح نشوى .. وطارت　　لابْتِدَارِ السّهول .. والآكام
لم تكن تألف الظّلام ، ولا الحبـ　　ـس .. ولا جرّبت حياةَ الزّحام
استطارت إليه .. تطلب منجًى　　من قتام مخيّم ، كالرُّكام
شاقها مرتعٌ لها ... ومراحٌ　　مستمدٌّ .. كفسحةِ الأوهام
وتراءت لها حدائقُ غُلْبٌ　　مُشرقاتٌ بزهوها البسّام

متَى يحبو؟.. متَى يخطو؟ متَى يمشي؟.. متَى يجري؟
متَى سأراه بين لِدَاتِهِ.. في نُضْرَةِ الزّهر؟
متَى يا ربّ آخذه إلى الكُتَّابِ.. والمُقْري؟

* * * *

متَى سأراه مِلْءَ العيـنِ.. عَبْلَ الزَّنْد.. والصّدر؟
تحومُ على صباه عيونُ كلّ البيضِ والسّمر
وتحلم كلُّ فاتنةِ الصّبا.. بسَّامةِ الثّغر
بعود شبابه النامي وخفقة قلبِهِ البِكر

* * * *

مضت تستعرض الغيدَ الحِسانَ.. بمسرح الفكر
وراحت - وهي حالمةٌ - تفصّل جِسبةَ المهر
ولَيْلَى مَن تليقُ بِعشّه المأمولِ.. والخدر
تُرَى؟.. أم يا تُرَى سَلْمَى أحقُّ بقلبِه العُذري؟

* * * *

وحانت لفتةٌ لِمرآتِهَا - عفوًا -.. ولا تدري..
فلاحت في دياجي شعرِهَا المنساب.. كالسّتر
خيوطٌ باهتاتُ الصّبغِ بين البيضِ والصّفر

وغصـــون محمّـــلات ثمـــارا زاهيـــات برونـــق ... وقـــوام

وظلالٌ ـ إذا أرادت ـ وشمسٌ فوق عُشْبٍ .. حولَ الغديرِ الطامي

رفرفت لحظةً ، وفرّت إلى الشبّـــــاكِ ... جَذْلَى ، مثل انطلاق السّهام

صدمته بِثقْلِهَا ... وقُوَاهَا صَدْمَةً ، قد تُطِيح بالأجسام

حاوَلَتْه .. فلم يزد غير صَدٍّ وعـنادٍ .. وقسوةٍ .. وخِصام

جرّبَتْهُ ، بصدرِها . وبقرنَيْـ ـها .. وبالجانحين .. والأقدام

لازَمَتْه ، فلم تَدَعْ منه جزءًا لم تحاول عبوره .. باقتحام

بذلت ، فوق ما تُطيق قواها ثمّ خرّت صريعةً للرَّغام

جاهدت جُهْدَهَا ، إلى أن تداعت وهي لم ترتكن .. للاستسلام

لفظت روحَهَا ، على منصبٍ كا ن لأجلِ الحياة .. كالأحلام

ليلةٌ في الظّلامِ ، أمسِ وقعًا عندها ، من شَقَاوَةِ الأعوام

لست أدري أكان منه غباءً ذلك الجُهْدُ .. ضاع في الأوهام

أم ترى أنّه لزامٌ عليها بَذْلُهَا النّفسَ ، في سبيلِ المرام

موســـميّ الهــوى

موسميٌّ الهوى فؤادي ... وعيني مـثـلُـه ... موسميّةُ الأهـواءِ
كلّ وقت ، له هوى مستجدّ كلّ يوم يهفو إلى حسناء
فهو في الصّبح ، غيرُه في الأماسي وهو في الصّيف ، غيرُه في الشّتاء
فإذا أقبل الرّبيع ، تشهّى كلَّ خَوْدٍ ، كالوردة الحمراء
وإذا ما الشّتاء حلّ ، فسمرا ء ... تثنّت بقامة هيفاء
وإذا صفّق الخريف على الأر ض ، بشتّى الرّياح ... والأنواء ...
كان كالطّقس ـ في الغرام ـ وجارى ذَبْذَبَاتِ الأهواء ، والأجواء
مرّةً شمألٌ ... وحينًا جنوبٌ فهو ما بين زَعْزَعٍ ، ورُخَاء

* * * *

وإذا الصيف سعّر الأرض نارا وتمشّى لظاه في الأعضاء
وبدا النّاس يهرعون إلى البحـ ـر ، ويُلقون حرّهم في الماء ...

وتجلّى الجمالُ ، لا شيء يخفيـ ـه ، سوى حلّةٍ كنسج الهَبَاء ...
واضح للعيون ما كان منه يتملاّه من وراء وراء ...
فهنا حيرة القلوب جميعا لا قلوب العشّاق والشّعراء
فـهمو كلّهم عيون وأسما ع على مطلع الجمال «الهوائي»
لمت نفسي على التّقلّب في الحـ ـب ، فقالت : طبيعةُ الأشياء
إنّ من لا يحبّ كلّ جميل كلّ يوم في الصّبح والإمساء ...
عاش ما عاش مُظْلِمَ النفس والقلـ ـب ، بصيرًا ... بمقلة عمياء

ظالم

ظالم أنت ظالم ... من نجا منك ... غانم
لك ما شئت في نُهًى ... أنت فيهنّ حاكم
قد تملّكتَ عُدَّة ... ما انتضاها مزاحم
فإذا ما شهرتها ... فالمعادي مسالم

* * * *

فتنةُ الحسن آلة ... غلبت من يقاوم
الجفون الصّوارم ... والثّغور البواسم
والقدود التي بها ... ثمرات توائم
وسجايا روت لنا ... ما تقول النّسائم
وحديث كأنّما ... نغّمته الحمائم
كلّ من حاز مثلها ... لم تفته الغنائم

* * * *

يا جميلا قد استوى فيه صبّ، ولائم
أينما لحت، فالنُّهَى مستخَفّ، وهائم
فهي كالنّحل تارة تستبيها البَرَاعِم
أو فَرَاش مرفرف مستقر، وحائم

* * * *

لك تهفو... وإنّما شرك السّحر قائم
ولظَى الحب محرق ليس في الحب راحم

* * * *

أنت «نعمان»، حوله من لظى الحب جاحم
وافد... كلّ من دنا أوفدته «البراجم»[1]

---

(1) «إنّ الشقيّ وافد البراجم»: مثل.

هـــذه أنـــت ...؟

هذه أنتِ ؟.. بعد طول غيابِ يا أعزّ الأحباب والأصحابِ
هذه أنت ؟.. لا أصدّق عيني إنّ عـيني كـثيرة الارتيـاب
هذه أنت ؟.. يا لصحوة قلبي من سباتي .. ويا لطول عذابي
لست أدري من أين أبدأ ، إنّي حـائـر بين فـرحتي واكـتئابي
عدتِ أخرى ؟ لشقوتي وسهادي أم تُرى عدتِ عودةَ الأوّاب ؟

* * * *

هذه الزورة الحبيبة لم تخـ ـطر ببالي ، ولم تكن في حسابي
خطفت نظرتي ، وشدّت لساني ومشت في دمي ، وفي أعصابي
فعلى اليأس كنت وطّنت نفسي ومـن الوصل قُطِّعَتْ أسبابي
حينما لحتِ ـ فجأة ـ وقف الكـو ن ، وقد جفّ في لَهاتي لُعابي

وتوالت بخاطري ذكريات كسطور تداخلت في كتاب

* * * *

حلوة أنت ما تزالين كالأمـ ـس، ومازلتِ في شباب الشّباب
بارك الله صِدفة جمعتنا في رحابٍ، سقيًا لها من رحاب
سنواتُ الهجر العجافُ جميعا أخصبت ـ فجأة ـ على أعتابي
فإذا بهجة الرّبيع بقلبي وإذا خضرة الرّبيع ببابي

* * * *

لا أبالي إن كان يسعد قلبي بكِ ـ من بعدُ ـ أو يطول اغترابي
حسبه أن رآك يا منية النّفـ ـس، وأحلى مطالبي ورِغابي

* * * *

لم أفكّر في أن أعاتب أو أشـ ـكو، فلا وقت عندنا للعتاب
إن تكوني معي، فما غاب شيء كلّ شيء مهيّأ الأسباب
أو تكوني معي، فلي بهجة الدّنـ ـيا، وعندي طفولتي.. وشبابي
فاملئي الآن ـ بالمحبّة ـ كأسي منذ حين فقدت طعم الشّراب
واغفري لي إساءة.. أنت جانيـ ـها، وأمسى عليّ عِبْءُ العقاب

قابلها بعد غياب سنوات طويلة ، حيّته بابتسامة ، عرف الملامح وأنكر الاسم .

مـــن أنـــتِ ؟ ...

من أنتِ ؟ إنّي قد نسيتكِ ، فاعذري
لستِ الوحيدة في صحائف دفتري

كم فيه من «ليلَى» تطلّ بوجهها
بين السّطور ، وكم به من «كوثر»

لا أذكر الأسماء ، فهي كثيرة
مثل النّجوم ، تلوح تحت المجهر

في كلّ سطر منه ، خطرة حلوة
كانت على عهد الشّباب المزهر

مـعـروفـة بسماتها ، وصـفـاتها
لا باسمها المتواتر المتكرّر

إنّي جعلت لكلّ واحدة به
رمزا يذكّرني ، إذا لم أذكر

فهناك صاحبة الوشاح الأحمر
وهناك صاحبة الشّريط الأخضر

وهناك من فَتَنَتْ بطرف أزرقٍ
وضفيرتين من الحرير الأصفر

وهناك من نقشت على فستانها
حرفين ... قالا كلّ ما لم تذكر

ومليحة ، سحرت بوجه أسمرٍ
حلوٍ ، وقد أسَرَتْ بطرف أحور

وجميلة خطرت بغصن مُزهر فتأوّد الغصن الذي لم يُزهر

نطقت ، فكان لجِرْسها ، وحديثها في مِسْمَعَيَّ صدًى ، كلحن المِزْهَر

دنيا من الغيد الحسان تزاحمت في خاطري ، وتلاحمت في أسْطُرِي

متناثراتٍ في سماء مشاعري متعارضاتٍ في دروب تفكّري

في بعضهنّ ملاحة مشهودة ولبعضهنّ ملاحة لم تظهر

والبعض زيّنت الجمال بحسنها والبعض زيّنهن حسنُ تصوّري

أسماؤهنّ تقاربت ، وتباعدت وغرامهنّ بمهجتي لم يفتُرِ

أسعدنني ، إذ كنت مشبوب الهوى والآن يسعدني بهنّ تذكّري

إنّي لأحفظ عهدهنّ ، لأنّني مازلت محتفظا بذاك الدّفتر

غير اسم واحدة ، حفظت حروفه وهي التي في العمر لم تتكرّر

علّمتها بعلامتين : « بنونة » « وبخالها » المترفّع المتكبّر

فكأنّما هو نحلة قد حلّقت ودنت ، لترشف من رحيق السكّر

أو أنّه من فوق ناصع ثغرها سقطت على القرطاس نقطة عنبر

تلك التي استوعبت كلّ صفاتها لكنّها بي مرّة لم تشعر

تشـــاؤم ..

إنّما النّاس في الحياة حظوظ قد سما بعضُهَا .. وبعضٌ تدلّى
فيلاقي السّعيدُ إن غادر الدّا رَ ، غزالاً ، بوجهِهِ الحسنُ صلّى
باسمَ الثّغر ، مشرقَ الوجهِ تَنْحَـ ـلّ على لطفِهِ المشاكلُ حلاّ
حَسَنَ الفأَلِ ، لا يشكّ ملاقيـ ـه بأنّ المرامَ قد بات سهلا

* * * *

ويلاقي الشّقيَّ وجهٌ عبوسٌ في مَرَائيـهِ عُسْرُهُ يتـجلّى
يتبع الشّؤمُ خطوَهُ أينما را ح فيُعْدِيه ، أينما كان حلاّ
أنا من هؤلاءِ .. حظّي عجوزٌ ثَقُلَتْ وطأةً .. وسمعًا .. وظِلاّ
قد ذوى عودُها ، وغاضَ معينُ الـ ـحسنِ فيها ، وعهدُها قد تولّى
كلّما أقبلت .. أقولُ لنفسي بئسَ وجهُ العجوزِ أنّى أهلاّ
ويظلّ النّهارُ ، لمّا تلاقيـ ـني ثقيلا على الفؤادِ مُملاّ

ما أراها ، إلاّ توقّعت شرًّا مستطارًا .. ومشْكِلاً لن يُحَلاّ
أنا من وجهِهَا ، تحصّنت باللّـــــــهِ الذي يملأ الموازينَ عدلا
مستعيذاً بـ «قل أعوذ بربّ النّـــاسِ» .. من وجهها .. إذا ما أطلاّ

فـــأل

طارقٌ دَقَّ بابَنَا طَرَقَاتٍ أَزْعَجَتْنَا ـ سريعةً مُسْتَمِرَّهْ
فنهضنا للبابِ نَسْعَى خِفَافًا واسْتَبَقْنَا إليهِ نَكْشِفُ أمْرَهْ
والصّباحُ الوليدُ مازالَ في المَهْـ ـدِ صَبِيًّا.. والطّيرُ لمْ يَعْدُ وَكْرَهْ
فسألْنَا: مَنْ طَارِقٌ؟ قالَ: (مُوسَى)[1] قلتُ: ما الخطبُ؟ قالَ: خيطًا وإبْرَهْ
وجْهُهُ كالحٌ، ومازالَ في عيـ ـنَيْهِ من نَوْمِهِ، بقيّةُ سَهْرَهْ
قلتُ: يَا ابْنَ الحَلالِ، أيْنَ صباح الـ ـخَيْرِ؟ قُلْهَا، وَخُذْ نُجُومَ المِجَرَّهْ
وإذَا كُنْتَ طالبًا حاجةً صُبْـ ـحًا، فَلاَ تَطْلُب اللأدَاةَ المُضِرَّهْ
ما الذِي ضَرّ، لو طَلَبْتَ حَلِيبًا أو ضَرِيبًا.. أو فُلَّةً.. أوْ زَهْرَهْ
كِلْمَةٌ حُلْوَةٌ مَعَ الصّبحِ، تُوحي بِسَلامٍ.. وَبَهْجَةٍ.. ومَسَرَّهْ
فإذا لم تَكُنْ، فَوَجهٌ طَلِيقٌ لَيسَ يَبْدُو عليهِ ضيقٌ وكُدْرَهْ

---

(1) الموسَى: السكين.

كِلْمَةُ الطّارِق المُلِحّ صَبَاحًا   رُبّما أعْقَبَتْ رَجَاءً وَحَسْرَهْ
ومَضَى واستعذتُ بالله واسْتَفْـ   ـتَحْتُ أَسْعَى ، وفي خَيَالِيَ فِكْرَهْ
فتشاجرتُ مرتينِ .. وضاعَتْ   بالذِي تحتوِي عليهِ الصُّرَّهْ
وإذا كلُّ سهلةٍ مِنْ شُؤُوني   أصبحتْ في تَنَاوُلي اليَوْمَ وَعْرَهْ
كلُّ بابٍ قصدتُهُ كانَ قَدْ خيـ   ـطَ بِخَيْطَيْنِ من قُنُوطٍ وَعُسْرَهْ
وانْقَضَى ذلكَ النّهارُ وجَنْبِي   يَشْتَكِي بُؤْسَهُ ، ويلعنُ فَقْرَهْ
فاستعِذْ بالسّميعِ من طارقِ اللّيـ   ـلِ ، ومن شرِّهِ .. وطارقِ بُكْرَهْ

سيـــارة

أنتِ ... وسيارتُك «الدَّتْسُنُ»[1] تـكـاد أن تخطفك الأعيُنُ
في حسنك الزاهي ، وفي حسنها تـبـارت الأحـداق .. والألسُنُ
رشيقةٌ أنتِ .. وفي شكلها تـنـاسقٌ يُهْوَى ... ويُستحسَنُ
إذا بدت في الدَّرب ميّاسةً وأنتِ فيها ... كلـنـا نُفْتَنُ

---

(1) داتسون : سمة لنوع من السيارات اليابانية

ملاحظة : القطعة ليست إعلانا لهذا النوع من السيارات بل تعبير عن الإعجاب بالسائقات الفاتنات .

مســـرح

الكون .. كالمسرح العظيم والناسُ فيه الممثّلونا

فبعضُهم فيه ثانويٌّ وبعضُهُم فيه مخرجونا

وبعضُهُمْ لا يجيدُ دورًا وأغلبُ النّاس بارعونا

ونحنُ من يكتب المآسي ونحن فيه المشاهدونا

« روايةٌ » .. لا نَمَلّ منها وإن تكن مُثِّلَتْ سنينا

« فصولُهَا » .. تُضْحِك الثَّكَالَى أما تراهُم مصفّقينا ؟

عيد الربيع والمهرجـــان *

يا صباحا فيه التقَى العيدان	مشرق الوجه ... مفعَما بالمعاني
بـارك الله صبحـه ومسـاه	وأظـلـتـه بهجـة المهـرجـان
الربيع المِعطاء في موكب الحسـ	ـن وعيدُ الأستاذ ... يلتقيان
ذاك يُهدي إلى الاكف ورودا	ناضراتٍ .. وذاك زهرَ الأماني
هذه في جمالها بهجةُ العيـ	ـن وهاتيك بهجةُ الوُجْدَان
أيُّ كفّ أحق منا بشكر	من يد المحسن الكريم الباني
أكرم الناس من يمد إلى النا	س يديه ... بهمّة المِعوان
ويداوي الآلام في كل نفس	ويغطّي على الأسَى بالحنان
يـــزرع الحب والمودة والآ	مال بعد القنوط ... والحرمان

---

* عيد المعلم السابع ، وتكريم فريق من المعلمين القدامَى (10 مارس 1979) .

أفترجو الثناء ؟ أيُّ ثناء يتساوى والبَذْلَ في ميزان
هذه الأذرع النحيلة تمدّ إلى غصن دوحك الفينان
وعيون الصغار تطفح بالحب وأخرى مليئة ... بالمعاني
وأحاديثهم كزقزقة الطيـ ـر تغنت بأعذب الألحان
وصفاءُ الطفولة العذبُ فيض قُدُسيٌّ ... ينساب في الوجدان
وقلوبُ الآباء حولك تهفو ترجمت ما تكنه ... العينان
نلتقي كي نُكرِّم العلمَ في العيـ ـد وعيدَ الأستاذ بالمهرجان
حسبه أن يشدّ كلَّ فؤاد برباط من رحمة ... وحنان
حسبه أن يشعّ في كل دار أملا من عطائه المتّان
كل طفل يسعَى إليه وئيدا يختفي خلف ظله .. أبوان
وعلى وقع خطوه خفقات واجفات ... يهفو بها قلبان
وحشود من الأماني ، ودنيا من رجاء ، بهيجةُ الألوان
أنت .. أنت السعيد لو كنت تدري فاشكر الله واهبَ الإحسان
عالم الناس .. أنت أدرى بما فيـ ـه فكن منه خاليَ ... الوجدان
أسعد الناس من يعيش بعيدا عن مجالٍ كمسبح الحيتان
وأرى عالم الطفولة تبدو فيه من نفحة السماء معان
عالم الطهر .. والبراءة .. والحب ودنيا الحبور ... والرضوان
لم تكدر صفاءه موبقات الإ ثم .. والحقد ، والخنَى والهوان
لم تشوّه جماله نزعة الشر بتلك الأقذاء ... والأدران
لم تشُبْهُ مطامع تجعل النا س كبعض الوحوش ... والغيلان
عالم تسبح الملائك حوليه ودنيا من الرضا ... والأمان

أنت أنت السعيد ما دمت تحيا في مجال الطفولة النّديّان

أيه يا أيها المعلم.. إنا بك نغزو عوالم العرفان

علّم الله باليراع فشعت ومضات الجمال في الأكوان

أنت لولاك.. ما تَغَنَّى هَزَار فوق تلك الفروع.. والأغصان

وحروفُ الهجاء مازلن مَرْقًى لسماء العلا.. على الأزمان

بارك الله كلَّ حرف مُضِيءٍ مُلهمٍ وحْيُهُ من القرآن

إنما هذه النفوس بناء عامر ركنه.. وأنت الباني

وعقول الرجال تبقَى كتابا وعليه.. الأستاذ كالعنوان

إنْ شكرنا فإنما الشكر مِنَّا مِن قبيل التنويه بالإحسان

فأياديك يا صديقَ حياتي لم تُحَطْ بالثناء... والشكران

إن عددنا الحصَى نحط بمزايا ك فما شكر صانع الإنسان

ثــأر ...

إنّي مررت بها في البَهْو جالسة وحولها مُهَجٌ حامت ، وأنظار
تلك التي منذ أعوام قد احتجبت عنّي ، وللغائب المحجوب أعذار
والبَهْو مِنْ حولنا بالنّاس مُحْتَشَد قد جمّعتهم أحاديث وأسمار
كانت تخالسني من طرفها نظرا وفي المحيّا ، وفي العينين أسرار
وكلّما غفلوا ، حيّت ببسمتها وأومأت ، وحديث الطّرف غرّار
حتّى إذا سنحت للبَوْح فرصتُها قامت ، وقمت . وللعشّاق أطوار
جاءت تحدّثني عنها ، وتسألني وبين جَنْبَيَّ من شوقي لها : نار
فأمسكت بيدي في رقّة ، ومشت فأزهرت في حقول العمر أزهار
فلم نكد ننتحي ركنا يغيّبنا عنهم ، وللقوم آذان وأبصار ...
حتّى تآثرها لمّا تفقّدها مراقب ، من عيون الحسن مغيار
فجاء يلهَث ، في عينيه زوبعة كأنّما أُشْعِلَتْ في ذقنه النّار
أو مثلما انفجرت في البحر قنبلة أو مثلما هبّ في الأنسام إعصار

قد أتعبته ، فما ينفكّ يرصدها ... كأنّ مقلته في البهو «رادارُ»

فاغتال فرحتنا ، من قبل مولدها ... فظ ، غليظ ، لحبل الوصل بتّار

جفّت على شفتينا البسمتان ، كما ... يجفّ في الرّوض «بالقِبْلِيِّ» نوّار [1]

فلم تبح بالذي جاءت تبوح به ... ولا أنا قلت كيف الأهل والدّار ؟

عُدْنَا ، وفي مقلتينا من تصرّفه ... غيظ دفين ، وفي الرّأسين دُوَّار

لكنّنا قد حسبناها عليه ، فإن ... طال الزّمان بنا ، قد يدرك الثّار

---

(1) «القبليّ» بالاصطلاح المحلي : ريح السموم الجافة الحارة التي تهب من جهة الجنوب فتذبل الزرع والزهر وتحرقه وتثير الأتربة الكثيفة .

نظّـــارة

أكلّما غادة في الدّرب قد طلعت … تختال ـ من حسنها ـ مزهوّة تيها

وتعرض الحسن ألوانا .. وتنشره … لتستفزّ الذي ـ عفوا ـ يلاقيها

وتستثير قلوبا من مكامنها … بما تبثّ حوَالَيْها .. لتغريها

تكاد عينيَّ ـ من فرط الولوع بها ـ … تفرّ من محجرٍ مازال يؤويها ؟

حتّى لتوشك ـ من إلحاح نظرتها ـ … من جلدها ـ لو هيَ اسطاعت ـ تُعرّيها

سئمت من مقلة بالحسن مولعة … ومن فؤاد إذا تدعو يلبّيها

من لي بنظّارة سوداء حالكة … عنّي إذا ضمّتْ حسناءُ تخفيها ؟

أو مَنْ بعين إذا لاح الجمال لها، … ليست تراه جمالاً في مَرَائيها

أو مَنْ بقلب إذا الإبصارُ نبّهه، … لا يستجيب وإن أعياه تنبيها

لم يبق منّي سوى عين إذا بصرت … بالحسن، لا شيء عن مرآه يلهيها

حتّى لأخجل من نفسي إذا فَطَنَتْ … إحدى الجميلات في أُحصِي مباهيها

كأنّني سارق في كفّه ضبطوا … مسروقة. وهل يحسن يواريها

صـــورة *

عشِقْتُكَ يا مَوْطِني الطَّيِّبَا وَصَيَّرتُ حُبَّكَ لِي مَذْهَبَا
هواكَ هَوَايَ الـذِي شَفَّنِي وإنْ شَرَّقَ القلبُ أوْ غَرَّبا
فـأنت الأمَـانِيُّ والـذّكْـرِيَاتُ وأنت الطفُولَةُ .. أنْتَ الصِّبَا
أغـارُ إذَا عَـابَتْكِ الجَنُوبُ وأشفـق إن ما زحتك الصبا
تفيّأتُ فيـكَ ظلال النجوم وَقَبَّلْتُ في وَجْهِكَ الكَوْكَبَا
وأوْحَيْتَ لي أنتَ حُلْوَ النّسِيبِ وألْـهَـمْـتَـنِـي النّغَـمَ الـمُـطْـرِبَا
وهيَّأتَ لي في الذُّرَى مَرْبَأً وَمَهَّدْتَ لي - في الصِّبَا - مَلْعَبَا

* * * *

• لحنها قسم الموسيقى بادارة النشاط المدرسي ووزعها على المدارس الإعدادية للمشاركة بها هذا الموسم .

إذَا ذَكَرَ النَّاسُ أَوْطَانَهُمْ ذَكَرْتُكَ مُغْتَبِطًا مُعْجَبَا
فيا صَخْرَةً غَالَبَتْهَا السِّنُون فشاءَ لها اللهُ أَنْ تَغْلِبَا
ويا هِمَّةً تَتحدَّى المُحَالَ ويا عَزْمَةً سَخِرَتْ بِالظُّبَى
سَيَبْقَى حَدِيثُك عَبْرَ الزَّمَانِ يُلَقِّنُهُ مَوْكِبٌ.. مَوْكِبَا
وَيَبْقَى غَرَامُكَ فِي خَاطِرِي هَوًى غَامِرًا.. وَشَذًى طَيِّبَا

* * * *

فيا شاطِئًا بالجَمَالِ اسْتَظَلَّ ويَا جَبَلاً بالجَلاَلِ احْتَمَى
ويا تَلْعَةً بَارَكَتْهَا التِّلاَعُ ويا رَبْوَةً غَبَطَتْهَا الرُّبَى
ويا قَامةً أزْهَرَتْ وَرْدَتَيْنِ ويا مُقْلَةً حَسَدَتْهَا الظِّبَا
ويَا أُمْسِيَات ويا ذِكْرَيَاتُ ويا مَنْ تَبَتَّلَ أَوْ مَنْ صَبَا
هُنا نَصَبَ الحُسْنُ مِحْرَابَهُ وصلّى هُنَا الصّبحَ والمَغْرِبَا
وَمِنْ هَاهُنَا سَافَرَتْ نَسْمَةٌ بأنفاسِهَا الطّيبُ قَدْ ذُوِّبَا
سَأَحْوِيكَ يا موطِنِي صورةً تُلوِّنُهَا ذكرياتُ الصِّبَا
وَيَبْقَى غرامُكَ في خاطِرِي هوًى غامِرًا وشذًى طيّبا

ربيعيّة *

وروضـةٍ جـاد عـليهـا الـمَـطَـرُ

فَـنَـبْـتُـهَـا ـ من الـنَّـعِـيـمِ ـ أسْمَـرُ

كـأنّـهُ بَـحْـرٌ.. بِـمَـوْجٍ يَـزْخَـرُ

وزَهْـرُهَـا مُـبَـرْعَـمٌ ، مُـنَوَّرُ

قـدْ ضَـمَّـهَـا ضَـمَّ الـمَشُوقِ «الأخْضَرُ» (1)

* * * *

* تعوّد سكان بنغازي وأكثر المدن الليبية أن يخرجوا في الربيع لنزهة يسمونها (الزردة) تكون أول أيام الربيع أو في الأيام التالية ... وقد تتكرر مرات للنزهة والمتعة وكانوا يختارون الأماكن الجميلة وغالبا ما تكون بمنطقة (الجبل الأخضر) شرقي بنغازي.

(1) الأخضر: الجبل الأخضر.

أمــــامَــــهَــــا وَادٍ سَحِـــيقٌ مُـــغْوِرُ

وخَـــلْـــفَـــهَـــا طَوْدٌ أشَمُّ أَزْوَرُ

وحَوْلَـهَـا «الـتِّيـهُ» نَـمَـا .. والسَّعْـتَـرُ [2]

وَهْيَ على الـــمَـــرْجِ بســـاطٌ أخْضَـــرُ

مِنْ فوقِـــهِ أزْهَـــارُهَـــا تُـــنْـــتَـــثَـــرُ

فـــأبْـــيَضٌ ، وأحْـــمَـــرٌ ، وأصْـــفَـــرُ

كَـــمَـــا على الـــدِّيـــبَـــاجِ ذُرَّ الـــجَوْهَـــرُ

* * * *

شَمْسُ الضّـــحَى على مـــداهـــا تَـــخْـــطُـــرُ

ضَـــاحِـــكَـــةَ الوَجْـــهِ ، فما تُـــكَشِّـــرُ

تُـــلَـــمْـــلِـــمُ الـــطِّـيبَ بِـــهَـــا .. وَتَـــعْصِـــرُ

فملأ الـــجَوَّ شَذَاهَـــا الـــعَـــطِـــرُ

وَثَـــمِـــلَ الـــنَّـــاسُ بِـــهِ .. وَسَكِـــرُوا

* * * *

---

(2) التّيه : نبت طيّب الرّائحة يسمّيه بعضهم التّفاح البرّي .

وطَـــيْــرُهَــا مُــغَــرِّدٌ .. مُصَــفِّــرُ

كـــأنّما أَطْـــرَبَـــهُ مـــا يُـــبْصِـــرُ

فَـــتَـــارَةً على الـــحَشِـــيشِ يَـــنْـــقُـــرُ

تَـــرَاهُ ، وهـو صـــاعِـــدٌ .. مُـــنْـــحَـــدِرُ ..

كـــأنّـــهُ ذُو حَـــاجَـــةٍ .. مُشَـــمِّـــرُ

عَـــجْلاَنُ ، لاَ يَـــأْنَى ، ولا يَـــنْـــتَـــظِـــرُ

فما عنِ الـــلّـــهوِ الـــبَـــرِيءِ يُـــقْصِـــرُ

فـــهي : شذًى .. وَنَـــغَـــمٌ .. وَمَـــنْـــظَـــرُ

من فَـــاتَـــهُ رُؤْيَـــتُـــهَـــا .. لا يُـــعْـــذَرُ

لِـــمِـــثْـــلِـــهَـــا .. حـــقًّـــا يَـــطِـــيبُ السَّـــفَـــرُ

* * * *

قُـــمْـــنَـــا لَـــهَـــا لـــمّـــا أتـــانَـــا الـــخَـــبَـــرُ ..

والشّـــمْسُ خَـــلْفَ حُـــجْـــبِـــهَـــا تَسْـــتَـــتِـــرُ

والصّـــبحُ طِـــفْـــلٌ ضَـــاحِكٌ مُسْـــتَـــبْشِـــرُ

تَـــعْـــدُو بِـــنَـــا بَـــيْضَـــاءُ ، لا تُـــنْـــتَـــهَـــرُ

ولا بِـــمِـــهْـــمَـــازِ الـــرِّكَـــابِ تُـــزْجَـــرُ

سيّارةُ .. بها المَدَى يُخْتَصَرُ

عن شَوْطِهَا الأوْهَامُ قدْ تُقَصِّرُ

فَارِهَةُ الجُهْدِ ، فَمَا تُفَتِّرُ

بِصَوْتِهَا ، طَيْرُ اليَمِينِ يُزْجَرُ

ومنْ حَوَاشِيهَا النَّدَى يَنْحَدِرُ

* * * *

في صُحْبَةٍ هُمُ النّجومُ الزُّهُرُ

مَا مِنْهُمُو إلاّ نَجِيبٌ خَيِّرُ ..

فكلّهُمْ بِكُلِّهِمْ .. مُذَكِّرُ

تَقَارَبَتْ أَرْوَاحُهُمْ والفِكَرُ

وانْسَجَمُوا ، فَمَا بِهِم مُثَرْثِرُ

وَلاَ ثَقِيلَ بَيْنَهُمْ يَنْحَشِرُ ..

ولا مُنَغِّصٌ .. ولا مُمَرِّرُ ..

فكلّهُمْ على اللّسَانِ : سُكَّرُ

إنْ يُذْكَرِ الحُسْنُ .. إليهِ شَمَّرُوا

فكلّهُمْ ذَوَّاقَةٌ .. مُعْتَبَرُ

يَسْبِي الجَمَالُ قَلْبَهُ .. وَيَأْسِرُ

إنْ عَرْبَدَ اللّحْنُ .. وأنَّ الوَتَرُ

يكادُ من نَشْوَتِهِ .. يَنْفَطِرُ

حتّى إذا حَلُّوا بها ، وعَسْكَرُوا ..

حَلُّوا حُبَى العَقْلِ ، فما تَوَقّرُوا

لكن على أهوائِهِمْ قد سَيْطَرُوا

فِيهِمْ - على خفَّتِهِم - تَبَصُّرُ

لم يُفْرِطُوا في اللّهوِ .. أو يُقَتِّرُوا

كانوا قِوَامًا .. والقِوَامُ أجْدَرُ

* * * *

أَمْتِعْ بيومٍ فَضْلُهُ ، لا يُنْكَرُ ..

نَعِيمُهُ على الوُجُوهِ أسْطُرُ

فلم يُعَسِّرْ يُسْرَهُ مُعَسِّرُ

ولم يُكَدِّرْ صَفْوَهُ مُكَدِّرُ

* * * *

حـتّى إذا الشّـمسُ بَـدَتْ تَـنْـحَـدِرُ

كـأنّـهـا : قُـرصُ نُضَـارٍ أصْـفَـرُ

أوْ شُعْـلَـةٌ من الـلّـظَى تَسْـتَـعِـرُ

أو أنّـهـا مَـلِـيـحَـةٌ .. تُـحْـتَضَـرُ

عُـدْنَـا .. وفي أعْـمَـاقِـنَـا نَـدَّخِـرُ

أَبْـدَعَ مـا صوّرَهُ الـمُـصَـوِّرُ

في الـنّـفوسِ .. أثَـرٌ .. وأثَـرُ

وفِي الـعُـيونِ .. مَـنْـظَـرٌ .. وَمَـنْـظَـرُ

لِـمِـثْـلِـهِ .. يَـدُ الـرّبـيـعِ تُشْـكَـرُ

* * * *

عَـادَتْ بِـنـا بَـيْضَـاؤنَـا .. تُـزَمْـجِـرُ

الـرّيحُ خـلفَ رَكْـبِـهَـا .. تُصَـفِّـرُ

الـنَّـخْـلُ فِي لَـبَّـتِـهَـا .. يَـنْـتَـحِـرُ

صـــوت

توهّم أنّه سمع صوتها ـ بعد غياب طويل واحتجاب مرير ـ فنظر حوله .. فلم يجد غير الصّدى الذي توهّمه يرنّ في سمعه .

سمعت صوتك النَّدِي فما ملكتُ مِقْوَدِي
وما احتواني موضعي ولم يَسَعْني مَقْعَدي
وقلت : «يا عينُ انظري» فلم تجد من أحد
وقلت : يا شوقُ أفقْ ويا شجونُ عَرْبِدِي
ويا ظنونُ في سماوات رُؤَايَ احتشدي
وأنتِ يا أذنُ بهذه اللّحون انفردي
عادت إليكِ ، بعد أن فقدتِها من أمد
رقيقةً .. كمثل شَدْوِ البلبل المغرّد
فجدّدي عهدك باللحن القديم ، جدّدي

واسترجعي البهجة فالـ ـبهجة زاد المُجْهَد

* * * * *

ترفقي يا عذبة الـ ـلحن بقلبي الجَلِد
ما غبتِ عنه ـ منذ أن غبتِ ـ... ولم تبتعدي
فأنت فيه جذوة وهّاجة التوقّد
وأنت صورة الحيا ة في سماء خَلَدي
وأنت في السّمع صَدَى لحنٍ طروبٍ غَرِد
وأنت عصفور ثوى على شَغَافِ الكبد
وذَبْذَباتُ صوتك الـ ـحلو، نشيدي الأبدي
فما الغياب يا حبيـ ـبتي غياب الجسد

الغريـــب

مَنْ للغريب دموعُه تَكِفُ وفؤادُه في صدره يَجِفُ
صور وأطياف تمرّ به فتهزّه الذّكرى ... ويرتجفُ
ويكاد يفري الشّوق مهجته ويكاد يعصر قلبَه الدَّنَف
ألقت نواه به إلى بلد لا صاحبٌ يُؤْوِي .. ولا كَنَفُ
بلد تروق العينَ رؤيتُهُ لكنْ طباعُ بنيه تختلف
يلقَى الغريب لديه راحته ويروقُه من عيشه التَّرَفُ
وبحيث حلّ فملعب سرحت فيه الظّباء .. وروضة أُنُفُ
والرّائحون المقبلون هنا وهناك : مفترقٌ ، ومؤتلف
كهل أمال الهمّ كاهِلَهُ وفتًى بصاحبةٍ له كَلِفُ
وصبيّةٌ خطرت بقامتها فجمالُها لعيونهم هَدَفُ
شتّى وجوه كنت تبصرها والموكبُ الزّخّارُ لا يقف
من لم يزاحم منهمو فله من عيشه التّقتير .. والشّظف

فهنا الجديدُ بكلّ جِدَّتِهِ والنّاس «بالموضات» قد شُغِفوا
وهنا وجوهُ العصر مشرقةٌ لو أنّها للخير تنصرف
إنّي حللت به مصادفة ولقد تسوء وتَحْسُنُ الصّدَف
وبفندق قد كنت آلفه ألقيت ما ناءت به الكتف
مَأوى حَفِيٌّ بالغريب إذا لم تنقطع من كفّه الزُّلَفُ
أحببته، وألفتُ صحبته وتألّفتْنِي البُهوُ والغرف
وخرجت - في ليل - أجول وما لي مذهبٌ بادٍ.. ومُنْصَرَفُ
ومشَى بِيَ الدَّرب الطّويل على جنباته يتألّق النَّجَف
وإذا بملهَى نصف متّقدٍ للمرهَقين بدفئِهِ كَنَفُ
فولجته، لا أبتغي مُتَعًا حسبي من الإمتاع ما أصف
وجلست وحدي، أحتسي قدحا لا مأثم فيه.. ولا نَزَفْ
والنّاس مَثْنَى.. ها هنا، وهنا زوجان: عطاف.. ومنعطف
ويدٌ على خصر تحيط به، ويدٌ هنا، سعِدت بها كتِف
رقصوا على أنغام عازفهم وعن الهموم وذكرها، عَزَفُوا
وقلوبُهم من حول ساقية هيفاءَ، في أهدابها وَطَفُ
وبجيدها - من حسنها - صَيَدٌ وبخصرها - من لطفها - هَيَفُ
رقص الصّليب على ترائبها فكأنّه المشنوق يرتجف
خَبَرَتْ صنوفَ النّاس فهي على رغباتهم وأمورهم تقف
رقّت، ورقّ الكأس في يدها فتكاد بالأبصار تُختطَف
ولمحتُ - منزويا - بناحية شيخا، يكاد يخور إذ يقف
في بِزَّةٍ، أوْدَى بجِدَّتها دهرٌ على الأشياء يختلف

وأمامه كأس ، إذا فرغت، ضَمِن المزيدَ ، إناؤه الخَزَف
يرنو بعين نصف مُغمَضة وله يدٌ بالكأس ترتجف
وبوجهه مشت السّنونُ فمن آثارها : خافٍ ... ومنكشف
وهناك من خلف الزّجاج تَرَى زمرَ الظّباء ، تمرّ .. أو تقف
فكأنّما - إن سرن في مَهَل - سربٌ لبعض الماء منعطِف
وإذا وقفن ، كأنّهنّ دُمًى في مَعْرِض نُصَّتْ به التّحف
وصديقُنا ، لا همّ يشغله إلاّ الشّرابُ ، عليه يعتكف
فقصدت مجلسه الكئيبَ ، ولي بحديث من هم مثلُهُ شغف
حيّيته .. فرنا إليّ ، وفي عينيه لاح الشّك .. والأسف
لكنّه حيّا بنظرته .. وببسمة في لطفها كَلَف
وأشار : هذا مقعد ، فإذا ما شئت ، فاجلس ، لي بك الشّرف
قد ضقت بالصّاحين أسمعهم فحديثهم - في مسمعي - رَصَفُ
ووجدت في أمثاله عوضا عنهم ، وإنْ عن منهجي انحرفوا
فشكرته .. وجلست أسأله ويجيب - في عَجلٍ - ويرتشف
الكأس حين تغيض يملؤها وحديثه كالغيث إذ يَكِف
من أنت ؟ قال : كما ترى ، رجلٌ بالبؤس منتعل .. وملتحف
ضاقت بِيَ الدّنيا ، وضقت بها لولا الشّرابُ ، أصابني التّلف
وسألته : لِم أنت منفرد هلاّ ببعض النّاس تأتلف ؟
فأجاب : من يرضَى مصاحبتي وأنا الفقير ، المدمن ، الخَرِفُ ؟
قلتُ : المدامُ مضرّة .. أفما يكفيك ؟ .. فهْيَ الدّاء ، والسَّرَفُ
فأجابني - متهلّلا طربا - : إنّي بفضل الخمر ، أعترف ؛

هي : دفء أعضائي إذا بردت ... وبها ـ إذا ما نِمْتُ ـ ألتحف
أسلو بها عن صاحب نَزِق ... ملأ الغرور حُبَاه .. والصّلف
وتريح أعصابي التي تلِفَت ... ممّا به الأيّام تختلف
نِعْمَ الدّواء لمن به ألم ... في نفسه ، أو من به « قَرَف »
حربان قد أُصْلِيت نارَهُمَا ... وتقاذفت رَحلي نوًى قُذُفُ
وضربت في الآفاق مغتربا ... لا الغَوْرُ ينكرني .. ولا الشّرَفُ
قد كنت ـ والأيّامُ مقبلةٌ ـ ... من مَنْهَلِ اللّذات أغترف
وفتوّتي ، تصبو الحسانُ لها ... فلهن بي ، وبمجلسي كَلَف
واليوم ، ودّعتُ السّرور ، فما ... غيرُ الشّراب عليه أعتكف
جالسته ، أصغي لقصّته ... جَذِلاً .. فكلّ حديثه طُرَفُ
حتّى إذا نَضب الإناء ، فما ... في جوفه للكأس مُرْتَشَف
وتسلّل الرّوّاد ، آخرهم ... وانفضّ عقد القوم .. وانصرفوا
ولوت لسان صديقنا نِسَعٌ ... ممّا به الصّهباءُ تتّصف
ودّعته ، فمشى على مَهَلٍ ... مَشْيَ الذي في القيد يَرْتَسِفُ
مترنّحا ، يلتاك أغنية ... غنّى بها ـ من قومه ـ السّلف
وإلى غد ، سيعيش في حُلُمٍ ... من أجله الصّهباء تُقْتَرَفُ
فإذا صحا ، عادت تُرَاوِحُه ... آلامه .. ويُمِضُّهُ الأسَفُ

الكريـــم *

قالوا : ألا ترثي الكريم الأروعا ... وتؤبِّنُ الروضَ الأَغَنّ المُمْرِعا ؟

وتحدِّثُ الدنيا ببعض خلاله ... فكأنّها تلقي إليك المسمعا

قلت : الذي تعنونه لما ثوى ... أبكت رزيّتُه الرياح الأربَعا

من لم يقم منا وراء سريره ... يبكي بقلب كاد أن يتصدعا ؟

ماذا يقول الشعر عند رثائه ؟ ... في مثله تبقَى القوافي خُشّعا

من ذا الذي يرثي النجوم إذا هوت ... والبحرَ إن أمسى يبابا بلقعا

الصمت أحيانا يكون معبِّرا ... ما أبلغَ الصمت الكئيبَ الموجِعا

الحزن ليس الدمعَ يَذرِف سيله ... إنْ كانَهُ ... فلقد ذرفنا الأدمعا

الحزن أوْجَعُهُ الذي لم ينفجرْ ... دمعًا .. وآلَمُهُ الذي ما جعجعا

---

* رثاء صديق كريم وأخ فاضل ومحسن معروف ، توفي في بنغازي أواخر فصل الخريف وصادف أن اشتدت الرياح والزوابع يوم وفاته . والبيت الثالث يشير إلى ذلك .

تسـابيح

يسبِّح للهِ من في الوجودْ وتعنو الجباهُ له بالسّجودْ
فجَلَّ الإِلهُ العليُّ القديرُ وجلّ الإلهُ العزيزُ الحميدْ

* * * *

هو اللهُ.. فوقَ ظُنُون الوَرَى وقبلَ الحُدُوثِ، وبعدَ النُّشُورْ
وفوقَ الزّمانِ، وفوق المكانِ وفوق الشّبيهِ، وفوقَ النّظيرْ
«وفي كلِّ شيءٍ، له آيَةٌ» تخبِّرُنا عن إلهٍ كبيرْ
فسبحانَهُ في ظلامِ الدّجَى وسبحانَه في ضياءِ البُكُورْ

* * * *

تُصلّي له خطراتُ النّسيمْ وهمسُ الغصون، وبوْحُ الزّهورْ

وتـذكُـرُهُ ذبْذباتُ النّجـوم وركضُ الغيوم ِ، وشدوُ الطّيورْ
وتُثني على فضـله الكائناتُ بـكـلِّ لسـانٍ مبينٍ ... قديرْ
فسبـحانَهُ في ظلام ِ الدّجَى وسبحانَهُ .. في ضياء البُكُورْ
إذا سرَحَتْ في علاهُ الظّنونْ فَغَايَتُـهـا منه شوطٌ قصيرْ
وإن تـتأمّـلْ مداهُ العُيونْ رَجَعْـنَ بطرفٍ كليلٍ حسيرْ
وإن عـدّ نعمـتَـهُ حاسِبٌ فدونَ الذي عدَّ جهدُ الشّكُورْ
فسبـحانَهُ في ظلام ِ الدّجَى وسبـحـانَـهُ في ضياءِ البُكُورْ

* * * *

وتسْـتشْعِرُ النّفسُ سُلطَانَـهُ وَحَوْلَ القويِّ وبَطْشِ القَديرْ
ويَـكْبُرُ في وَهْـمِـهَا كـائنٌ فلمْ تَنْسَ... أنى العظيمُ القديرْ
وتـغْـمُـرُهـا لحظـاتُ الأسَى فتذْكُرُ... أنى الرّحيمُ الغَفُورْ
فسبـحانَهُ في ظلام ِ الدّجَى وسبـحـانَـهُ في ضياءِ البُكُورْ

كتـاب الجـلال وسـفر الجمـال *

ربيع الزمان بتلك الهضاب تعلّق من سالف الأعصرِ
بنا يا رفاق الصبا والشباب نشاهدهْ في الجبل الأخضرِ

* * * *

هنا الحسن مؤتلق مسفرُ وسفح بـلـيَّـاتـه يبهـرُ
ونـبـع بـكـوثـره يـزخـرُ تـدفّق بـالشـهـد والسـكّـر

* * * *

* كُتبت لأحد المهرجانات الموسيقية المدرسية ببنغازي .

على متنه تستريح السنونْ وفي ظلّه ينعم المتعبونْ
وفي لونه تستحمّ العيونْ وتغفو على زنده الأسمرِ

* * * *

بهمس النسيم وخفق الغصون تنام الجراح وتغفو الشجونْ
وتُنعِشُ أنفاسُهُ الناشِقينْ بِبَوْحِ خُزاماهُ والسعتر

* * * *

كتابُ الجلال وسفرُ الجمالْ على سفحه سطّرته الليالْ
فكم صورة فيه فوق الخيالْ تطالعها العينُ في منظرِ

* * * *

فيا جبلا زاحم النيِّراتْ وقاوم بالعزم كيد الطغاةْ
لابنائك الغرّ هذي الصفاتْ فهم صامدون على الأعصرِ

هديـــــة *

أتـاني اليراعُ البـديعُ الثمينْ فكـانت بـه فرحتي فرحتينْ
وإني قد ازدان جيبي به وأمتعت في حُسنِه النّاظرِيْنْ
جميلا ، أنيقا ... ومُهْدي الجمالِ يمثـل مـرآه لـلـغـائـبـيـنْ

* * * *

كتبت بـه .. فـجرى فَارِهًا ولم يكُ مثلَ الجواد الحرونْ[1]

---

* أهدت إليه إحداهن قلما ثمينا جميلا ـ عن حسن نية منها ـ فأبى شيطان الشعر إلا أن يوسوس بهذه القصيدة . فمعذرة لصاحبة الهدية .

(1) فارهًا : نشيطًا .

فلو أن بعض الحسان اقتنته   لصار إذَنْ مـرْوَدًا للجفونْ
أعـبَّأتِـهِ أنتِ وحـيـا ؟ فما   تلعثم ... من تينِكِ المقلتينْ
وألهمه منك روحٌ شفيفٌ   فجاء بسحر البيان المبينْ ؟

* * * *

فشكرا على الذوق بعد الشعور   ولكنني صرت في حيرتينْ
فماذا أردّ بـه لو أردت   مـهاداة فاتنة المقلتينْ
ولم أر في الكون شيئا جديرا   بحسنِكِ يا ضرَّةَ النَّيريْنْ[2]
فلو استطيع أهاديك شيئا   يقصر عن نيْلِهِ الطالبونْ
أهاديك لو أستطيع الخلودَ   بهذا الشباب ... وهذا الفتونْ
أهاديك صكّ الأمان الذي   يصونك من غزوات السنينْ
و « حرزا » يزيد اشتعالَ الغرامِ   لهيبا بأفئدة العاشقينْ
و « مرآة سحر تريك القلوب »   وتكشف عن خطرات الظنونْ
وحقين من « نترات » الصبا   ومن مرهم السحر أنبوبتينْ
وأوحي إلى الطير كيما يشيد   بحسنك واسمك فوق الغصونْ

---

(2) النيّران : الشمس والقمر.

الفهـــــرس